

## قتل المنصور لأبي مسلم

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عمر بن عرفة الأزدي قال، أخبرنا أبو العباس المنصوري قال: لما قتل المنصور أبا مسلم<sup>(١)</sup> قال: رحمك الله أبا مسلم. فإنك بايعتنا وبايعناك. وعاهدتنا وعاهدناك، ووفيت لنا ووفينا لك. فإنك بايعتنا على أنه من خرج علينا قتلناه، وأنك خرجت علينا فقتلناك، وحكمنا لك حكمك لنا على نفسك.

قال: ولما أراد المنصور قتله دس رجالا من القواد منهم شبيب بن واج وتقدم إليهم فقال: إذا سمعتهم تصفيقي فاحرجوا إليه فاضربوه. فلما حضر حاوره طويلا حتى قال له في بعض قوله: وقتلت وجوه شيعتنا فلانا وفلانا، وقتلت سليمان بن كثير، وهو من رؤساء أنصار دولتنا، فقتلت لاهزا. قال: إنهم عصوني فقتلتهم. وقد كان قبل ذلك قال المنصور له: ما فعل سيفان بلغني أنك أخذتهما من عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup>؟ قال: هذا أحدهما يا أمير المؤمنين، يعني السيف الذي هو متقلد به. قال: أرنه، فدفعه إليه فوضعه المنصور تحت

(١) هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية في خراسان ومن ثم واليها، كان قائدا عسكريا وسياسيا داهية، كان من أحفاد ملوك الأكاسرة في فارس. ولد عام ١٠٠ هـ. كان مولى لبني العباس فخدم إبراهيم إمام العباسيين وأخو السفاح والمنصور، فوثق به وأرسله إلى خراسان داعيا فيها ليؤلف قلوب الموالي الخراسانيين. فاستمال أهلها ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى عليها وسير جيشا كبيرا من المشرق لمقاتلة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فهزمه عام ١٣٢ هـ، فزالت بذلك الدولة الأموية كان يشبه الحجاج في كثرة القتل فكان يأخذ بالظنة ولم يكن له صاحب أو مؤتمن. وكانت له هيبة كبيرة فكان لا يضحك أبدا، تحدثت الروايات أنه قتل مليون عربي لا لشيء سوى انتقاما لأصله. قتل عن بضع وثلاثين عاما.

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، عم الخليفة السفاح والمنصور وأحد القادة البارزين في صراع العباسيين مع آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، عندما تولى أبو العباس أول الخلفاء العباسيين طلب من بني العباس رجلا يحارب مروان بن محمد ويتخلص من الأمويين وقال: (إن من حاربه وغلبه لتحقيق أن يكون ولي العهد) فلم يتقدم إلا عبد الله بن علي، فقاد الجيش العباسي ضد مروان بن محمد واستطاع هزيمته في موقعة الزاب الشهيرة عام ١٣٢ هـ/٧٥٠م ثم تتبع فلول الأمويين. وفي سنة ١٣٣ هـ كتب أبو العباس إلى عبد الله يعلمه أن قسطنطين طاغية الروم حاصر ملطية، فزحف عبد الله يقطع الدروب ويبث جيوشه في نواحي الثغور ولم يزل كذلك حتى وصل إليه خبر وفاة الخليفة السفاح وما كان من عهده لأبي جعفر ومبايعة العباسيين له، فأعلن عبد الله الثورة معتمدا على جيشه الكبير. أسند أبو جعفر مهمة قتاله إلى أبي مسلم فتوجه إليه في جيش من الخراسانيين فتحصن عبد الله بخران وسد الطريق عليه، ولكن استطاع أبو مسلم بحيلته أن يخرجته من مكمنه فقتل الفريقان ستة أشهر حتى هزم عبد الله والتجأ إلى أخيه سليمان وإلى البصرة، فكتب أبو جعفر إلى سليمان يطلب منه إحضار عبد الله وأعطاه الأمان ثم أمر بحبسه واستمر حبسه سبع سنوات. وقيل أن البيت الذي حبس فيه وقع عليه فقتله عام ١٤٧ هـ.

مصلاه وسكنت نفسه. فلما قال ما قال. قال المنصور: يا للعجب أتقتلهم حين عصوك وتعصيني أنت فلا أقتلك؟!

ثم صفق فخرج القوم وبدورهم إليه شبيب فضربه فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه. فقال له المنصور: اضربه قطع الله يدك، فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين استبقن لعدوك قال: وأى عدو أعدى منك؟ فضربوه بأسيا فهم حتى قطعوه إربا إربا. فقال المنصور: الحمد لله الذى أرانى يومك يا عدو الله. واستؤذن لعيسى بن موسى. فلما دخل ورأى أبا مسلم على تلك الحال، وقد كان يكلم المنصور فى أمره لعناية كانت منه به، استرجع، فقال له المنصور: احمد الله فإنك إنما هجمت على نعمة ولم تهجم على مصيبة.

من كتاب (الجليس الصالح والأنيس الناصح) للمعافى بن زكريا.



## بناء مدينة القيروان

لما أورد عقبة بن نافع<sup>(١)</sup> بناء مدينة القيروان وأجاباه المسلمون إلى ذلك، أتى بهم إلى موضعها، وهو إذ ذاك شعارى لا تسلك وقال: شأنكم. فقالوا له: إنك أمرتنا بالبناء في شعارى وغياض<sup>(٢)</sup> لا تسلك ولا ترام، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من خشاش الأرض. وكان عقبة مستجاب الدعوة، فدعا الله عز وجل. وجعل أصحابه يؤمنون على دعائه.

وكان في عسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمعهم ونادى: أيتها الحيات والسباع، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ارحلوا عنا إنا نازلون. ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه.

فنظر الناس في ذلك اليوم إلى السباع تحمل أشبالها، والذئاب تحمل أجراءها، والحيات تحمل أولادها. فأسلم كثير من البربر. ونادى عقبة في الناس كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا.

فلما خرج ما فيها من ذلك، جمع عقبة وجوه أصحابه ودار بهم حول المكان وأقبل يدعو الله ويقول: اللهم املأها علما وفقها. واعمرها بالطيعين والعابدین، وامنعها من جبابرة الأرض. ثم نزل عقبة الوادى. وأمر الناس أن يختطوا ويقتلعوا الشجر. قال: فأقام أهل إفريقية بعد ذلك أربعين سنة لا يرون بها حية ولا عقربا.

(١) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن عامر بن أمية الفهري القرشي، من كبار قادة الفتح الإسلامي، يعتبره البعض صحابيا لأنه ولد قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعام واحد، ويعده البعض الآخر من كبار التابعين، كان هو وأبوه في جيش فتح مصر عام ٢١ هـ ثم ولاة عمرو بن العاص برقة بعد فتحها. وعندما أصبح معاوية بن حديج واليا على مصر عام ٤١ هـ أرسل عقبة إلى الشمال الإفريقي لمواصلة حركة الفتح التي توقفت منذ اندلاع الفتنة بين علي ومعاوية. استطاع بالفعل عقبة وجنوده تطهير المغرب الأدنى (ليبيا) من الحاميات الرومية ووصل إلى مشارف المغرب الأوسط (تونس) فأراد بناء قاعدة للجيش الإسلامي لمواصلة الزحف، فبنى القيروان بتونس عام ٥٥ هـ، وعندما تولى الإمارة بالمغرب للمرة الثانية عام ٦٢ هـ، خرج من القيروان بجيش كبير اكتسح به كامل الشمال الإفريقي حتى وصل إلى المحيط الأطلنطي وقال كلمته الشهيرة بعد أن توغل بفرسه في المحيط والله لو علمت أن وراء هذا الخضم أرضا لخضته غازيا في سبيل الله). قتل عقبة وهو عائدا من فتح المغرب على يد القائد البربري كسيلة وقتل معه ابا المهاجر دينار عام ٦٣ هـ.

(٢) الشعارى والغياض: هي الأرض الغائرة التي يتجمع فيها الماء فينبت فيها الشجر فتكون صعبة المسلك وملجأ لهوام الأرض.

قال : واخطت دار الإمار والمسجد الأعظم ، ولم يحدث فيه بناء ، وكان يصلى فيه وهو كذلك . فاختلف الناس فى القبلة وقالوا : إن أهل العرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد . فاجهد نفسك فى أمرها . فأقاموا مدة ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارك الشمس .

فلما رأى عقبة الاختلاف اهتم لذلك وسأل الله تعالى ، فأتاه آت فى منامه فقال له : يا ولى رب العالمين ، إذا أصبحت فخذ اللواء واجعله على عنقك ، فإنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه غيرك . الموضع الذى ينقطع عنك التكبير فهو قبلتك ومحرابه مسجداً . وقد رضى الله عز وجل أمر هذه المدينة وهذا المسجد . وسوف يعز بها دينه ويذل بها من كفره إلى آخر الدهر .

فاستيقظ من منامه وقد جزع جزعاً شديداً . فتوضأ وأخذ فى الصلاة فى المسجد وهو لم يبن بعد ، ومعه أشرف الناس . فلما طلع الفجر وركع عقبة سمع التكبير بين يديه . فقال لمن حوله : ألا تسمعون؟ قالوا : لا نسمع شيئاً ، فقال : إن الأمر من عند الله عز وجل ، وأخذ اللواء ووضع على عاتقه . وأقبل يتتبع التكبير بين يديه حتى انتهى إلى محراب المسجد . فانقطع التكبير فركز لواءه وقال : هذا محرابكم .

ثم أخذ الناس فى بنى الدور والمساكن والمساجد فعمرت . وكان دورها ثلاثة آلاف باع وستمائة باع . فكملت فى سنة خمس وخمسين . وسكنها الناس وعظم قدرها .

من كتاب (نهاية الأرب فى فنون الأدب) للنويرى .



## الخيزران.. وامرأة مروان

وكانت الخيزران أم الهادي والرشيدي في دارها المعروفة اليوم بأشناس، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم، وهي على بساط أرمني وهن على نمارق ارمنية، وزينب بنت سليمان بن علي أعلاهن مرتبة، فبينما هن كذلك إذ دخل خادم لها فقال: بالباب امرأة ذات حسن وجمال في أطمار رثة تأبى أن تخبر باسمها وشأنها غيركن، وتروم الدخول عليكن، وقد كان المهدي<sup>(١)</sup> تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان بن علي، وقال لها: اقتبسي من آدابها، وخذي من أخلاقها، فإنها عجوز لنا قد ادركت أوائلنا. فقالت الخيزران للخادم: ائذن لها، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال في أطمار رثة، فتكلمت فأوضحت عن بيان علي لسان فقالوا لها: من انت؟ قالت: أنا مزنة امرأة مروان بن محمد<sup>(٢)</sup>، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين، ووالله ما الأطمار الرثة التي على الاعارية، وانكم لما غلبتمونا على هذا الأمر وضار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة على ما نحن فيه من الضرر على بادرة إلينا تزيل موضع الشرف، فقصدناكم لتكون في حجابكم على أية حالة كانت، حتى تأتي دعوة من له الدعوة، فاغرورقت عيننا الخيزران ونظرت إليها زينب بنت سليمان بن علي، فقالت لها: لاخفف الله عنك يا مزنة، اتذكرين وقد دخلت عليك بحران وأنت على هذا البساط بعينه، ونساء قرابتكم على هذه النمارق، فكلمتك في جثة إبراهيم الإمام، فأنتهرتني وأمرت بإخراجي. وقلت: ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم. فوالله لقد كان مروان أروعى للحق منك، لقد دخلت إليه فحلف أنه ما قتله، وهو كاذب، وخيرني بين ان يدفنه او يدفع الى جثته فاخترت جثته وعرض على مالا فلم اقبله.

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور المهدي بالله (١٥٨ - ١٦٦هـ/٧٧٥ - ٧٨٥م)، ثالث خلفاء بني العباس، تولى بعد وفاة أبيه المنصور، شغف بالخيزران فرزق منها بالهادي والرشيدي، كان حسن السيرة محببا للرعية حسن الخلق، انتعشت بغداد في عهده انتعاشا ملحوظا حتى قيل إنها كانت أكبر مدن العالم سكنا في ذلك الوقت. قال عنه الذهبي إنه أول من عمل البريد من الحجاز إلى العراق، توفي عام ١٦٦هـ فخلفه ابنه الهادي.

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي (١٢٦ - ١٣٢هـ/٧٤٤ - ٧٥٠م). الرابع عشر والأخير من خلفاء بني أمية في دمشق، كان واليا على أرمينية وأذربيجان وقد أظهر كفاءة كبيرة كوالي، تولى الخلافة بعد ابن عمه إبراهيم بن الوليد الذي تخلى عن الخلافة له، بالرغم من وقوفه بقوة أمام الاضطرابات والثورات التي عصفت بالدولة إلا أنه لم يستطع الوقوف أمام الدعوة العباسية التي استفحل أمرها في خراسان حتى التقى بالجيش العباسي في معركة الزاب الحاسمة عام ١٣٢هـ والتي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، واستمر مختفيا بعدها حتى عشر عليه في أبي صير بمصر مقتولا في نفس العام.

فقالت مزنة: والله ما نظن هذه الحالة أدتنى إلى ما تريه إلا بالفعال التي كانت منى، وكأنك استحسنته فحرضت الخيزران على فعل مثله: إنما كان يجب ان تحضيها على فعل الخير وترك المقابلة بالشر، لتحرز بذلك نعيمها. وتصون بها دينها. ثم قالت لزئنب: يا بنت عم، كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق فأحببت التأسى بنا، ثم ولت باكية وكرهت الخيزران أن تخالف زئنب فيها فغمزت الخيزران بعض جواربها، فعدلت بها إلى بعض المقاصير، وأمرت بتغيير حالها والاحسان إليها، فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زئنب وكان من شأنه الاجتماع مع خواص حرمه في كل عشية - قصت عليه الخيزران قصتها، وما أمرت به من تغيير حالها، فدعا بالجارية التي ردتها، فقال لها: لما رددتها إلى المقصورة ما الذي سمعتها تقول، قالت: لحقتها في المر الفلاني وهي تبكي في خروجها مؤتسية وهي تقرأ « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ثم قال للخيزران: والله والله لو لم تفعلني بها ما فعلت ما كلمتك أبدا، وبكى بكاء كثيرا، وقال: اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة، وانكر فعل زئنب، وقال: لولا أنها أكبر نساتنا لحلفت ألا اكلها، ثم بعث إليها بعض الجوارى إلى مقصورتها التي أخليت لها، وقال للجارية: اقرئي عليها السلام منى وقول لها يا بنت عمر إن أخواتك قد اجتمعن عندي، ولولا إني أغمك لجئناك، فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي، وقد حضرت زئنب بنت سليمان. فجاءت مزنة تسحب اذيالها، فأمرها بالجلوس. ورحب بها واستداناها ورفع منزلتها فوق منزلة زئنب بنت سليمان بن علي. ثم تفاوضوا أخبار أسلافهم. وأيام الناس. والدول وتنقلها، فما تركت لأحد في المجلس كلاما، فقال لها المهدي: يا بنت عم، والله لولا إني لا أحب أن أجعل لقوم أنت منهم من أمرنا شيئا لتزوجتك، ولكن لا شيء أصون لك من حجابي، وكونك مع أخوتك في قصرى: لك ما لهن. وعليك ما عليهن. إني أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق، ثم اقطعها مثل ما لهن من الإقطاع وأخدمها وأجازها، فأقامت في قصره إلى أن قبض الهادي وأيام المهدي وصدرا من أيام الرشيد، وماتت في خلافته، لا يفرق بينها وبين نساء بنى هاشم وخواص حرائرهم وجواربهم، فلما قبضت جزع الرشيد والحرم جزعا شديدا.

من كتاب (مروج الذهب) للمسعودي.

## وفاة الرشيد

قال جبرائيل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقّة. وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة، أتعرف حاله في ليلته، ثم يحدثني وينبسط إلى، ويسألني عن أخبار العامة، فدخلت عليه يوما فسلمت عليه، فلم يكد يرفع طرفه، ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت مليا من النهار، وهو على تلك الحال، فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله، وما سببه؟ فقال: إن فكري وهمي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أفزعتنى، ومألت صدري. فقلت: فرجت عنى، يا أمير المؤمنين؛ ثم قبلت يده ورجله. وقلت: الرؤيا إما تكون لخاطر أو بخارات ردية، وتهاويل السوداء، وهى أضغاث أحلام.

قال: فإنى أقصها عليك، رأيت كأنى جالس على سريري هذا إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمراء. فقال لى قائل أسمعها ولا أرى شخصه: هذه التربة التى تدفن فيها؛ فقلت: وأين هذه التربة؟ قال: طوس، وغابت اليد، وانقطع الكلام.

فقلت: أحسبك لما أخذت مضجعتك فكرت فى خراسان، وما ورد عليك منها وانتقاض بعضها فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا.

فقال: كان ذلك؛ فأمرته باللهو والانبساط، ففعل، ونسينا الرؤيا وطالت الأيام، ثم سار إلى خراسان لحرب رافع، فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة، فلم تزل تزيد، حتى دخلنا طوس، فبينما هو يمرض فى بستان فى ذلك القصر الذى هو فيه، إذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط، فاجتمعنا إليه نسأله، فقال: أتذكر رؤياى بالرقّة فى طوس؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال: جئنى من تربة هذا البستان! فأتاه بها فى كفه حاسرا عن ذراعه، فلما نظر إليه قال: هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى، وهذه الكف بعينها وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيئا؛ وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بعد ثلاثة أيام.

قال أبو جعفر: لما سار الرشيد عن بغداد إلى خراسان بلغ جرجان فى صفر، وقد اشتدت علته، فسير ابنه المأمون إلى مرو، وسير معه من القواد عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، والسندى الحرشى، ونعيم بن حازم، وسار الرشيد إلى طوس واشتد به الوجع، حتى ضعف عن الحركة، فلما أثقل

أرجف به الناس، فبلغه ذلك، فأمر بمركوب ليركبه ليراه الناس، فأتى بفرس فلم يقدر على النهوض، فأتى ببردون فلم يطق النهوض، فأتى بحمار فلم ينهض، فقال: ردوني! صدق والله الناس.

ووصل إليه، وهو بطوس، بشير بن الليث أخو رافع أسير، فقال الرشيد: والله لو لم يبق من أجلى إلا أن أحرك شفقتي بكلمة لقلت اقتلوه. ثم دعا بقصاب، فأمر به، ففصل أعضاه، فلما فرغ منه أغمى عليه، وتفرق الناس عنه.

فلما أيس من نفسه أمر بقبوره، فحفر في موضع من الدار التي كان فيها، وأنزل إليه قوما فقرأوا فيه القرآن حتى ختموا وهو في محفة على شفير القبر، يقول: ابن آدم تصبر إلى هذا؛ وكان يقول في تلك الحال: واسواتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الهيثم بن عدى: لما حضرت الرشيد الوفاة غشى عليه، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه، فقال: يا فضل:

أحين دنا ما كنت أرجو دنوه رمتني عيون الناس من كل جانب  
فأصبحت مرحوما وكننت محسودا فصبوا لى مكروه أمن العواقب  
سأبكي على الموصل الذى كان بيننا وأندب أيام السرور الذواهب

قال سهل بن صاعد: كنت عند الرشيد وهو يوجد بنفسه، فدعا بملحفة غليظة، فاجتبي بها وجعل يقاسى ما يقاسى، فنهضت، فقال: اقعد، فقعدت طويلا لا يكلمنى ولا أكلمه، فنهضت، فقال: أين سهل؟ فقلت: ما يتسع قلبى يا أمير المؤمنين. يعانى من المرض ما يعانى، فلو اضطجعت، يا أمير المؤمنين، فضحك ضحك صحيح، ثم قال: يا سهل! اذكر فى هذه الحال قول الشاعر:

وانى من قوم كرام يزيدهم شماسا وصبرا شدة الحدتان

ثم مات، وصلى عليه ابنه صالح، وحضر وفاته الفضل بن الربيع، وإسماعيل بن صبيح، ومسور وحسين وورشيد.

وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما وقيل ملك ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوما وكان عمره سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان جميلا وسيما أبيض، جعدا قد وخطه الشيب، قال: وكان فى بيت المال لما توفى تسعمائة ألف ألف ونيّف.

من كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير.

## من خلق الأعراب

وحدث العتبي عن بعض أشياخه قال: كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة<sup>(١)</sup>. فأتى بأعرابي كان معروفاً بالسرقه فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك. قال: عجائب كثيرة. ومن أعجيبها. أنه كان لي بعير لا يسبق، وكانت لي خيل لا تلحق، فكنت أخرج فلا أرجع خائباً، فخرجت يوماً فاحترشت ضبا، فعلقته على قتبتي<sup>(٢)</sup>، ثم مررت بخباء ليس فيه إلا عجوز ليس معها غيرها، فقلت: يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وإبل.

فلما أمسيت إذا بإبل وإذا شيخ عظيم البطن شثن (غليظ) الكفين ومعه عبد أسود وغد (خادم). فلما رأني رحب بي. ثم قام إلى ناقة فاحتلبها، وناولني العلية، فشربت ما يشرب الرجل، فتناول الباقي فضرب بها جبهته، ثم احتلب تسع أينق. فشرب ألبانهن، ثم نحر حواراً<sup>(٣)</sup> فطبخه، فأكلت شيئاً، وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضاً. وجثا على كومة من البطحاء وتوسدها، ثم غط غطيظ (نوم عميق) البكر. فقلت: هذه والله الغنيمة، ثم قمت إلى فحل إبله فخطمته، ثم قرنته ببعيري وصحت به. فاتبعني الفحل واتبعته الإبل إرباباً به في قطار، فصارت خلفي كأنها حبل ممدود. فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع، ولم أزل أضرب بعيري مرة بيدى ومرة برجلي حتى طلع الفجر، فأبصرت الثنية وإذا عليها سواد، فلما دنوت منه، إذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره.

فقال: أضيفنا؟ قلت: نعم. قال: أتسحونفسك عن هذه الإبل<sup>(٤)</sup>؟ قلت: لا. فأخرج سهماً كأنه لسان كلب، ثم قال: انظره بين أذني الضب المعلق في القتب، ثم رماه، فصعد عظمه عن دماغه، فقال لي: ما تقول؟ قلت: أنا على رأيي الأول قال: انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى، ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم وضعه بإصبعه. ثم قال:

(١) اليمامة: اسم قديم لإقليم يقع وسط الجزيرة العربية ويمتد إلى الثلث الجنوبي الشرقي من الجزيرة وهي منطقة نجد الحالية، واشتهر إقليم اليمامة أثناء حروب الردة عامي ١١ - ١٢ للهجرة عندما قام بها مسلمة الكذاب حتى قضى عليه الخليفة أبو بكر رضى الله عنه. وأصبحت اليمامة تابعة لولاية البحرين في العصرين الأموي والعباسي حتى عام ٢٥٢هـ - ٨٦٦م حين استولى محمد بن يوسف الأخيضر وهو من نسل الحسن بن علي رضى الله عنهما على الخضرمة وجعلها عاصمة لدولته، وقد استمرت الدولة الأخيضرية حتى منتصف القرن الخامس الهجري حين قضى عليها القرامطة، فظلت المنطقة في حالة من العزلة السياسية لعدة قرون.

(٢) شئ كالسرج يوضع فوق ظهر البعير.

(٣) هو ولد الناقة إلى أن يفطم.

(٤) هل لديك استعداد للتنازل عنها.

رأيك؟ فقلت: إني أحب أن أستثبت. قال: انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه. والرابع والله في بطنك. ثم رماه فلم يخطئ العكوة. قلت: أنزل آمنا؟ قال: نعم. فدفعت إليه خظام فحله وقلت: هذه إبلك لم يذهب منها وبرة، وأنا متى يرميني بسهم يقصد به قلبي. فلما تباعدت، قال: أقبل، فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا في خيره. فقال: ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت إلا من حاجة. قلت نعم. قال فاقرن من هذه الإبل بعيرين وامض لطيتك. قال: قلت: أما والله لا أمضى حتى أخبرك عن نفسك، فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشد ضرسا، ولا أعدى رجلا، ولا أرمى يدا، ولا أكرم عفوا، ولا أسخى نفسا منك. فصرف وجهه عنى حياء، وقال: خذ الإبل برمتها مباركا لك فيها.

من كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.

□□□

## عمر وعامل أبي موسى

قال الربيع بن زياد الحارثي: كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين، فكتب إليه عمر بن الخطاب رحمه الله يأمره بالقدوم عليه هو وعماله، وأن يستخلفوا جميعاً. قال: فلما قدمنا أتيت يرفاً فقلت: يا يرفاً، مسترشد وابن سبيل، أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأوماً إلى بالخشونة، فاتخذت خفين مطارقين<sup>(١)</sup>، ولبست جبة صوف، ولثت عمامتي على رأسي.

ودخلنا على عمر رحمه الله فصفا بين يديه فصعد فينا وصوب. فلم تأخذ عينه أحداً غيري، فدعاني فقال: من أنت؟ قلت الربيع بن زياد الحارثي. فقال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلت: البحرين قال: كم ترتزق؟ قلت: ألقا، قال: كثير، فما تصنع به؟ قلت: أتقوت منه شيئاً. وأعود به على أقارب لي. فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين، قال: فلا بأس، ارجع إلى موضعك، فرجعت إلى موضعي من الصف، فصعد فينا وصوب. فلم تقع عينه إلا علي، فدعاني. فقال: كم سنك؟ قلت: خمس وأربعون سنة، قال: الآن حين استحكمت.

ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش، وقد تجوعت له فأتى بخبز وأكسار بعير<sup>(٢)</sup>، فيجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت آكل فأجيد، فجعلت أنظر إليه ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى أئين من هذا، فزجرني. ثم قال: كيف قلت؟. فقلت: أقول: يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين، فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم، ويطيخ لك اللحم كذلك، فتؤتى بالخبز لنا، واللحم غريضاً<sup>(٣)</sup>. فسكن من غربه<sup>(٤)</sup> وقال: أهنأ غرت<sup>(٥)</sup> قلت: نعم. فقال: يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق<sup>(٦)</sup>، وسبائك، وصناب<sup>(٧)</sup>، ولكني رأيت الله عز وجل نعي على قوم شهواتهم، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٨)</sup>. ثم أمر أبا موسى بإقاراي. وأن يستبدل بأصحابي.

من كتاب (الكامل) للمبرد.

(١) أي مطبقين.

(٢) الكسر والجدل والوصل: العظم ينفصل بما عليه من اللحم.

(٣) أي طرياً.

(٤) أي من حده.

(٥) أي ذهب.

(٦) أي اللحم المسلوق.

(٧) وهو الخردل بالزبيب.

(٨) سورة الأحقاف، آية: ٢٠.

## من إجابة الدعاء

ولعبد الملك في تمنيه الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى، الصادقة، وقد رواه عن الحافظ أبى الربيع بن سالم بقراءتى عليه من طريق أبى على بن سكرة الصدفى بإسناده إلى الشعبى، قال:

لقد رأيت عجبا: كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان. فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليمانى ويسأل الله حاجته، فإنه يعطى من سعة، قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول مولود ولد فى الهجرة.

فقام فأخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميئتنى من الدنيا حتى تولينى الحجاز ويسلم على بالخلافة، وجاء حتى جلس.

فقالوا: قم يا مصعب بن الزبير، فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك رب كل شيء واليك يصير كل شيء، أسألك بقدرتك على كل شيء ألا تميئتنى من الدنيا حتى تولينى العراق وتزوجنى سكىنة بنت الحسين، وجاء حتى جلس.

وقالوا: قم يا عبد الملك بن مروان، فقام وأخذ بالركن اليمانى فقال: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وبحق الطائفين حول بيتك، ألا تميئتنى من الدنيا حتى تولينى مشرق الأرض ومغربها. ولا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس.

ثم قالوا: قم يا عبد الله بن عمر، فقام حتى أخذ بالركن اليمانى ثم قال: اللهم إنك رحمن رحيم، أسألك برحمتك التى سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ألا تميئتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة. قال الشعبى: فما ذهب عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل، وبشر عبد الله بالجنة. ورويت له.

من كتاب (الحلمة السيرة) لابن الأبار.



## من عفو الإمام أحمد

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسماه طبيب القراء وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم، فقال لي: دخلت يوما على أحمد بن حنبل فإذا هو مغموم مكروب، فقلت: ما لك يا أبا عبد الله؟ قال: خير، قلت: وما الخير؟ قال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت<sup>(١)</sup>، ثم عالجوني وبرأت، إلا أنه بقي في صلبى موضع يوجعنى هو أشد على من ذلك الضرب. قال: قلت اكشف لي عن صلبك، قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط، فقلت ليس لي بذى معرفة ولكن سأستخير عن هذا.

قال: فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بينى وبينه فضل معرفة، فقلت له: أدخل الحبس فى حاجة، قال: ادخل، فدخلت وجمعت فتیانهم وكان معى دريهمات فرقتها عليهم وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضربا وأشدهم صبورا، قال: فقلت له أسألك عن شىء، فقال: هات، فقلت: شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سياتا يسيرة إلا أنه لم يمض وعالجه وبرا إلا أن موضعا فى صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر، قال: فضحك، فقلت: مالك؟ قال: الذى عالجه كان حائكا، قلت: إيش الخير؟ قال ترك فى صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها، قلت: فما الحيلة؟ قال يبسط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها، وإن تركت بلغت الى فؤاده فقتلته.

قال: فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد ابن حنبل فوجدته على حالته، فقصصت عليه القصة. قال: ومن يبسطه، قلت: أنا. قال: أوتفعل؟ قلت: نعم. قال: فقام فدخل البيت ثم خرج وبيده مخدتان وعلى كتفه فوطة فوضع إحداهما لي والأخرى له ثم قعد عليها

(١) هذه المحنة هى فتنه خلق القرآن، ولقد اشتدت هذه الفتنة حين اعتقد الخليفة المأمون برأى المعتزلة فى أن القرآن الكريم خلق من مخلوقات الله، وطلب من ولاته فى الأمصار عزل القضاة الذين لا يقولون برأيهم، إلا أن أحمد بن حنبل كان من المدافعين عن القرآن كلام الله ورفض رأى المعتزلة فى حين أن أكثر العلماء أظهروا قبولهم لرأى المأمون خوفا منه، ومات المأمون فى خضم الاختلاف فى الرأى وولى العتصم الذى امتحن الإمام أحمد وأمر بضربه، وحبسه أكثر من سنتين، ولما تولى الخليفة الواثق أمر الإمام أن يخفى، فاخفى حتى تولى الخليفة المتوكل الذى خالف ما كان عليه سلفه من الخلفاء ونهى عن الجدل فى خلق القرآن، وأكرم الإمام أحمد ورفع قدره.

وقال: استخر الله. فكشفت الفوطة عن صلبه وقلت: أرني موضع الوجع. فقال: ضع إصبعك عليه فأني أخبرك به، فوضعت إصبعي وقلت: ها هنا موضع الوجع؟ قال: ها هنا أحمد الله على العافية، فقلت: ها هنا؟ قال: ها هنا أحمد الله على العافية، فقلت: ها هنا؟ قال: ها هنا أسأل الله العافية، قال: فعلمت انه موضع الوجع. قال: فوضعت الموضع عليه فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه وجعل يقول: اللهم أغفر للمعتصم، حتى بططته فأخذت القطعة الميتة ورميت بها وشدت العصا به عليه وهو لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم، قال: ثم هدأ وسكن ثم قال: كأني كنت معلقاً فأصدرت، قلت: يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم، قال: إني أفكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت أن أتى يوم القيامة وبيني وبين أحد من قرابته خصومة، هو مني في حل.

من كتاب (روضۃ العقلاء ونزهة الفضلاء) لابن حبان.



## ابن تاشفين وملوك الطوائف

لما ملك يوسف ابن تاشفين اللمتوني<sup>(١)</sup> المغرب وبنى مدينتي مراكش وتلمسان الجديدة وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة وتمهدت له الأقطار الطويلة المديدة، تاقنت نفسه إلى العبور لجزيرة الأندلس فهم بذلك، وأخذ في إنشاء المراكب والسفن، ليعبر فيها فلما علم بذلك ملوك الأندلس كرهوا إلامه بجزيرتهم، وأعدوا له العدة والعدد، وصعبت عليهم مدافعتة، وكرهوا أن يكونوا بين عدوين، الفرنج من شمالهم والمسلمين من جنوبهم. وكانت الفرنج تشتد وطأتها عليهم، وتغير تنهب وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين، والفرنج ترهب ملك المغرب يوسف بن تاشفين، إذ كان له اسم كبير وصيت عظيم لنفاذ أمره وسرعة تملكه بلاد المغرب وانتقال الأمر إليه في أسرع وقت، مع ما ظهر لأبطال الملتهمين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقدر الفارس والطعنات التي تنظم الكلى، فكان له بسبب ذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتاله.

وكان ملوك الأندلس يفيثون إلى ظله ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر إليهم وعابن بلادهم، فلما رأوا ما دلهم على عبوره إليهم وعلموا ذلك راسل بعضهم بعضا يستنجدون آراءهم في أمره وكان مفزعهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه أشجع القوم وأكبرهم مملكة، فوقع اتفاقهم على مكاتبتة لما تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتابا، وهو أما بعد فإنك إن أعرضت عنا نسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عجز، وإن أجبتنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبينا، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك فإنك بالمحل الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة، وإن في استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت والسلام.

(١) هو يوسف بن تاشفين الصنهاجي (٤٥٤ - ١٠٦٢/هـ - ١١٠٧م). ثاني ملوك المرابطين في المغرب. اتخذ لقب أمير المسلمين وناصر الدين، يعتبر المؤسس الفعلي لإمبراطورية المرابطين في المغرب والأندلس من حدود تونس حتى غانا جنوبا والأندلس شمالا، أنقذ الأندلس من ضياع محقق في موقعة الزلاقة ضد الصليبيين بعد ما استنجد به المعتمد بن عباد أمير أشبيلية حيث وحد بعدها ملوك الطوائف في الأندلس تحت حكمه عام ١٠٩٠م، أصله من موريتانيا من قبائل (صنهاجة اللثام) البربرية، ومع كونه لا يتكلم العربية إلا إنه كان شديد الزهد والورع وعرف بالتقشف والشجاعة وتقريب العلماء.

فلما وصله الكتاب مع تحف وهدايا، وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف باللسان العربي لكنه ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والرابطية، فقال له: أيها الملك هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظموك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم في منزلة الأعداء فإنهم مسلمون وذوو بيوتات فلا تغير بهم وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر، فأعرض عنهم إعراضك عن أطاعك من أهل الغرب، فقال يوسف بن تاشفين لكاتب: فما ترى أنت؟ فقال: أيها الملك أعلم أن تاج الملك وبهجته شاهده الذي لا يرد، فإنه خليق بما حصل في يده من الملك والمال أن يعفو إذا استغفى وأن يهب إذا استوهب وكلما وهب جليلا جزيلا كان لقدره أعظم، فإذا عظم قدره تأصل ملكه وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته وإذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته، واعلم أن بعض الملوك الحكماء الأكابر البصراء بطريق تحصيل الملك، قال: من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد، فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على السلطان يوسف بلغته فهمه وعلم صحته، فقال للكاتب: أجب القوم واكتب بما يجب في ذلك وقرأ على كتابك، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تحية من سالمكم وسلم عليكم وإنكم مما في أيديكم من الملك في أوسع إباحة مخصوصين منا بأكرم إثارة وسماحة فاستديموا وفاءنا بوفائكم واستصلحوا إخواننا بإصلاح إخوانكم والله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام. فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط التي لا توجد إلا ببلاده وأنفذ ذلك إليهم، فلما وصلهم ذلك وقرأوا كتابه فرحوا به وعظموه وسرروا بولايته وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج عنهم وأزمعوا إن رأوا من الفرنج ما يريبهم أنهم يرسلون إلى يوسف بن تاشفين ليعبر إليهم أو يمدهم بإعانة منه.

وكان ملك الإفرنج الأذفونش<sup>(١)</sup>، لما وقعت الفتنة بالأندلس وثار الخلاف وكان كل من حاز بلدا وتقوى فيه ملكه وادعى الملك وصار مثل ملوك الطوائف فطمع فيهم، الأذفونش بسبب ذلك وأخذ كثيرا من ثغورهم. فقوى شأنه وعظم سلطانه وكثرت عساكره وأخذ طليطلة من صاحبها القادر بالله بن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين، وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فزاد - لعنه الله تعالى - بملكه طليطلة قوة إلى قوته وأخذ يجوس خلال الديار ويستفتح المعازل والحصون.

من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) للحميري.

(١) هو الملك ألفونسو السادس ملك فشتالة وليون الإسبانيين.

## قبة الوليد وقاضى المدينة

فأخبرنى أبو الأحوص القاضى محمد بن الهيثم؛ قال: حدثنا أصبغ بن الفرج، عن ابن عيينة، ورواه يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه: أن الوليد بن يزيد<sup>(١)</sup> كان أمر بقبة من حديد، أن نعمل وتركب على ظهر الكعبة وأركانها، ونخرج لها أجنحة لتظلها إذا حج، وطاف هو ومن أحب من أهله، وفتياته ويطوف الناس من وراء القبة، فحملها على الإبل من الشام، ووجه معها قائداً من قواد أهل الشام فى ألف فارس، وأرسل معه مالا يقسمه فى أهل المدينة، فقدم بها، فنصبت فى مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرغ أهل المدينة، وقالوا: إلى من نفع؟ فقالوا: إلى سعد بن إبراهيم، فأتوه، وأخبروه الخبر، وكان على قضاء المدينة، فأمرهم أن يضربوها بالنار، فقالوا: لا نطيق ذلك. معها قائد فى ألف فارس، فدعا مولى له، فقال: هات الجراب، فأتاه بجراب فيه درع عبد الرحمن التى شهد فيها بدرا، فصبها عليه، وقال: هلم بغلتى، فركبها فما تخلف يومئذ قرشى، ولا أنصاري، حتى أتاها، وقال: على بالنار، فأضرمها بالنار ثم قال: ليس إلا هذا، لا الله إذا حتى نضع بها كما صنع بالعجل لنحرقه، ثم لننسفنه فى اليم نساء، فغضب القائد، فقيل له: هذا قائد أمير المؤمنين والناس معه، لا طاقة لك به، فانصرف إلى الشام.

قال: سعد بن إبراهيم: وشيع عبيد أهل المدينة من الناطف من حديدها، قال: إبراهيم: فكتب الوليد إلى سعد: أن استخلف عبيد الله بن عمر على القضاء وأقدم علينا، فولى عبيد الله، وركب إلى الشام، وأقام بباب الخليفة أياما لا يؤذن له حتى أضرب به طول المقام، فبينما هو ذات عشية إذا هو بفتى فى صفراء سكران، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا خال أمير المؤمنين، سكران، يطوف فى المسجد، فقال: لمولى له: هلم السوط، فأتاه به، وقال: على به، فأتى به فضربه فى المسجد ثمانين سوطا، وركب بغلته، ومضى راجعا إلى المدينة، وأدخل الفتى على الوليد مجلودا، فقال: من فعل هذا به؟ قالوا: مدنى كان فى المسجد، فقال: على به، فلحق على مرحلة، فرد، فدخل عليه سعد، فقال له: يا أبا

(١) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الخليفة الأموى الحادى عشر (١٢٥ - ١٢٦هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤م)، تولى الخلافة بعد موت عمه هشام بن عبد الملك وكانت مدة حكمه قصيرة بلغت سنة واحدة وشهرين، عرف الوليد باستحلاله المحارم وارتكابه البدع والموبقات وشربه للخمر. لذلك دارت بينه وبين ابن عمه يزيد بن الوليد حربا عام ١٢٦هـ قتل فيها، ويقال إن القبة التى عزم على نصبها فوق الكعبة كان ينتوى أن يشرب فيها الخمر

إسحاق ماذا فعلت بابن أخيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنك وليتنا أمرا من أمورك، وإنى رأيت حقا لله ضائعا، سكران يطوف في المسجد، وفيه الوفود ووجوه الناس، فكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل الحدود، فأقمت عليه الحد؛ قال: جزاك الله خيرا، وأمر له بمال وصرفه إلى المدينة، ولم يذكره شيئا من أمر القبة.

من كتاب (أخبار القضاة) لوكيع.

□□□

## يزيد بين سليمان والوليد

كتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك: إن آل المهلب خانوا مال الله، وهربوا مني ولحقوا بسليمان، فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان أخيه هبون عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضبا للمال الذي ذهبوا به، وكتب سليمان إلى أخيه الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنت، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف، فأدى ثلاثة آلاف ألف، وبقيت ثلاثة آلاف ألف، فهن على، فكتب إليه: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي، فكتب إليه: لئن أنا بعثت به لأجئن معه، فانشدك الله أن لا تفضحنى ولا أن تخفرننى، فكتب إليه الوليد: والله لئن جئتني به لا أؤمنه. فقال يزيد: ابعثني إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا، ولا أن يتشاءم بى لكما الناس، ابعث إليه بى وأرسل معى ابنتك، واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه، فأرسل ابنه أيوب معه، وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه فى وثاق، فبعثه إليه وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد فى سلسلة على الوليد، ففعل ذلك حتى انتهيا إلى الوليد فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه مع يزيد فى سلسلة قال: والله لقد بلغنا من سليمان.

ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسى فداؤك، لا تخفر ذمة أبى وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمكاننا منك، ولا تذك من رجا العز فى الانقطاع إلينا لعزنا بك، وقرأ الكتاب: «العبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك، أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إنى لأظن لو استجار بى عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته، فإنك لا تذك جارى ولا تخفر جوارى، بل إنى لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وبعد فقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تعزو قطيعتى والإخفار لذمتى والإبلاغ فى مساءتى، فقد قدرت إن أنت فعلت ذلك، وأنا أعيدك بالله من اجترار قطيعتى وانتهاك حرمتى وترك يدى وصلتى، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى مل بقائى وبقاؤك، ولا متى يفرق الموت بينى وبينك، فإن استطاع أمير المؤمنين، أدام الله سروره أن لا يأتى علينا أجل الوفاة إلا وهو لى واصل ولحقى مؤد وعن مساءتى نازع، فليفعل، والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله تعالى فيها بأسر منى برضاك وسرورك، ولرضاك مما ألتمس به

رضوان الله، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد، وكل ما طلبته به فهو عليّ.“

فلما قرأ كتابه قال: لقد شققنا على سليمان، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه، ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ذلك فلسنا ناسبه، ومن يكفر فلسنا كافر به، وقد كان من بلائنا، أهل البيت، في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب ما إن المنة فيه عظيمة. فقال له: اجلس. فجلس فأمنه وكف عنه، ورجع إلى سليمان، وسعى إخوته في المال الذي عليه، وكتب إلى الحجاج: إنني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان، فاكف عنهم، فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم. وكان أبو عيينة عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له، وكف عن حبيب بن المهلب، وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر في أرغد عيش وأنعم بال لا تأتي سليمان هدية إلا أرسل نصفها إليه.

وقال بعض جلساء يزيد له: لم لا تتخذ لك داراً فقال: وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام فقال له: وأين هي قال: إن كنت متولياً فدار الإمارة، وإن كنت معزولاً فالسجن.

من كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان.



## من زواج الخلفاء

دخلت سنة عشر ومائتين وفيها أخذ إبراهيم بن المهدي<sup>(١)</sup> ليلة الأحد ثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر وهو منتقب بين امرأتين في زى امرأة، أخذه حارس أسود ليلا فقال: من أنتن؟ وأين تردن في هذا الوقت؟ فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان في إصبعه له قدر عظيم وقال: خلنا ولا عليك أن تعلم من نحن، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استراب وقال في نفسه: هذا خاتم رجل له شأن، فرفعه إلى صاحب المسلحة فأمره أن يسقرن وتمنع إبراهيم، فجذبه فبدت لحيته، فرفعه إلى صاحب الجسر فعرفه فذهب به إلى المأمون فأعلم به، فأمر بالاحتفاظ به في الدار، فلما كان غداة الأحد أقعد في دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقواد والجند، وصيروا المقنعة التي كان منتقبا بها في عنقه والملحفة في صدره ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ، فلما كان يوم الخميس حول إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبس عنده.

وفي هذه السنة بنى المأمون ببوارن بنت الحسن بن سهل في شهر رمضان وكان الحسن بالصلح فشخص المأمون إلى الصلح، وأمر بحمل إبراهيم بن المهدي خلفه وكان العباس بن المأمون قد تقدم أباه على الظهر ووافى المأمون وقت العشاء فأفطر هو وألحسن والعباس ودينار بن عبد الله قائم على رجله حتى فرغوا من الإفطار، فدعا المأمون بشراب، فأتى بجام ذهب فصب فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن، فغمزه دينار بن عبد الله، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين أشربه بإذنك وأمرك، فقال له: لولا أمرى لم أمد يدي إليك، فأخذ الجام فشربه، فلما كان في الليلة دخل على بوران، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب، وكان تحتها حصير ذهب معمول عمل السامان، فقال المأمون: قاتل الله أبا نواس<sup>(٢)</sup> كأنه

(١) هو إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٦٢ - ٢٢٤ هـ / ٧٧٩ - ٧٣٩ م)، أخو الخليفة هارون الرشيد، اشتهر بالغناء وأبدع فيه وأتقنه، فكان من اعلم الناس في ذلك الوقت بالنغم والإيقاع، كان أسود اللون وافر الفضل غزير الأدب سخي الكف، لم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا ولا أحسن منه شعرا، بويع بالخلافة أثناء خلافة المأمون، لكنه لم يقم في الخلافة إلا أقل من سنتين، وسبب ذلك أن المأمون جعل ولاية العهد لعلى بن موسى الرضا عندما كان في خراسان، فشق ذلك على العباسيين ببغداد خوفا من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين فبايعوا إبراهيم عم المأمون وكان ذلك سنة إحدى ومائتين في بغداد وخلعوا المأمون، لكن إبراهيم عندما عرف بعودة المأمون من خراسان خاف على نفسه فاستخفى، لكن المأمون عفى عنه في النهاية.

(٢) هو الحسن بن هانئ دمشقي الملقب بأبي نواس، من أشهر شعراء العصر العباسي، ولد في الأحواز

حاضر هذا المنظر فى قوله: حصباء در على أرض من الذهب.

ثم أمر المأمون أن تجمع. وسألها عن عدد الدر كم كان، فقالت: ألف حبة، فأمر بعدها فنقصت عشرا، فقال: من أخذها فليردها، فقال حسين رجله: يا أمير المؤمنين إنما نثر لنأخذها فنقصت عشرا وإلا فالعقد أولى به، قال: ردها فإنى أخلفها عليك، فردت فجمعها المأمون فى الآنية كما كانت ووضع فى حجرها، وقال: هذه نحلثك وسلى حوائجك، فامسكت. فقالت جدتها: كلمى سيدك وسليه حوائجك فقد أمرك، فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت. وسألته الإذن لأم جعفر فى الحج، فأذن لها، وألبستها أم جعفر البدنة الأموية وابتنى بها من ليلته، وأوقد فى تلك شمعة عنبر فيها أربعون منا فى تنور ذهب. فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال هذا سرف، فلما كان من الغد دعا إبراهيم بن المهدي، فجاء يمشى من شاطئ دجلة، فلما دخل على المأمون قال له: هيه يا إبراهيم، فقال: يا أمير المؤمنين ولى الثأر محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه. وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك. قال: بل أعفو يا إبراهيم، فكبر وسجد.

فقال المأمون: أقول ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فأما الحسن بن سهل فإنه أضاف المأمون وجميع من معه وخلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه عليهم خمسين ألف ألف درهم سوى ما نثره وكان كتب رقاعا فيها أسماء ضياعه ونثرها على القواد وبني هاشم، فمن وقعت فى يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث بها فتسلمها.

من كتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) لابن مسكويه.

---

بخراسان من أب عربى وأم فارسية عام ١٤٥هـ/٧٦٢م، عرف بشاعر الخمر لمجونه. امتاز بالشعر الخليع الإباحي. قيل عنه إنه تاب واتجه إلى الزهد فى آخر حياته، المرجح أن أبوه كان من جند آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد فى دمشق. اتخذه الأمين نديما له غير أن سيرة أبى نواس جعلت منادته الأمين تشيع بين الناس، وفى نطاق الصراع بين الأمين والمأمون كان خصوم الأمين يعيبون عليه اتخاذ شاعرا خليعا نديما له ويخطبون بذلك على المنابر، فيضطر الأمين إلى حبس شاعره وكثيرا ما كان يشفع له الفضل بن الربيع عند الخليفة فيخرجه من سجنه، توفى أبو نواس ببغداد عام ١٩٩هـ/٨١٣م.

## ومن الحب ما قتل!

تزوج والدى الشيخ حسن الجبرتي بنت رمضان جلبي، وكانت به بارة وله مطيعة. ومن جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشتري له من السراري<sup>(١)</sup> الحسان من مالها. وتنظمن بالحلى والملابس، وتقدمهن إليه، وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك. وكان يتزوج عليها كثيرا من الحرائر، ويشترى الجوارى، فلا تتأثر من ذلك. ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة.

ومن الوقائع الغريبة أنه لما حج في سنة ١١٥٦هـ، واجتمع به الشيخ عمر الجلبى بنكة، أوصاه الحلبي بأن يشتري له جارية ببيضاء تكون بكرًا دون البلوغ، وصفتها كذا وكذا، فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجوارى لينتقى منهن المطلوب، فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها، وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبتته.

فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك. فقالت: إني أحببت هذه الوصيفة حبا شديدا، ولا أقدر على فراقها، وليس لى أولاد، وقد جعلتها مثل ابنتي. وبكت الجارية أيضا وقالت لا أفارق سيدتى. ولا أذهب من عندها أبدا. فقال: وكيف يكون العمل؟ قالت: أدفع ثمنها من عندى، واشتر أنت غيرها. ففعل، ثم إنها أعتقتها، وعقدت لزوجها عليها، وجهزتها وفرشت لها مكانا على حداثها، وبنى بها والدى في سنة ١١٦٥هـ. وكانت لا تقدر على فراقها ساعة. مع كونها صارت ضررتها وولدت له أولادا.

فلما كان في سنة ١١٨٢هـ، مرضت الجارية، فمرضت لمرضها. وثقل عليهما المرض. فقامت الجارية في ضحوة النهار، فنظرت لمولاتها وكانت في حالة من الإغماء، فبكت وقالت: إلهي.. إن كنت قدرت موت سيدتى، اجعل يومى قبل يومها، ثم رقدت، وماتت تلك الليلة، فأضجعوها بجانبها.

فاستيقظت مولاتها آخر الليل. وجستها بيدها. وصارت تقول: زليخا.. زليخا، فقالوا لها: إنها نائمة، فقالت: إن قلبى يحدثنى أنها ماتت، ورأيت فى منامى ما يدل على ذلك، فقالوا لها: حياتك الباقية، فقامت وهى تقول: لا حياة لى بعدها. وصارت تبكى وتنتحب حتى طلع النهار، وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها. ورجعت هى إلى فراشها، وماتت آخر النهار، وخرجوا بجنازتها فى اليوم التالى. وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيتته ووعيته، وكان سنى إذ ذاك أربع عشرة سنة.

من كتاب (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) للجبرتي.

(١) الجوارى.

## نصيحة حكيم إلى حاكم

بينما أبو جعفر المنصور فى الطواف بالبيت ليلًا إذ سمع قائلًا يقول. اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض. وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فخرج المنصور. فجلس ناحية من المسجد. وأرسل إلى الرجل يدعوه. فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة. فقال المنصور: ما الذى سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الأرض؟ وما الذى يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضى.

فقال: إن أمنتنى يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمر من أصولها. وإلا احتجرت منك واقتصرت على نفسى فلى فيها شاغل. قال: فأنت آمن على نفسك فقل. فقال: يا أمير المؤمنين. إن الذى دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغى لأنت. فقال: فكيف ذلك ويحك! يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى؟

قال: وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك. إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم. فأغفلت أمورهم. واهتممت بجمع أموالهم. وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر. وأبوابا من الحديد. وحراسا معهم السلاح. ثم سجننت نفسك عنهم فيها. وبعثت عمالك فى جبايات الأموال وجمعها. وقويتهم بالرجال والسلاح والكرام. وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان نفرا سميتهم. ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير إليك. ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك. وآثرتهم على رعيتك. وأمرت أن لا يحجبوا دونك. تجبى الأموال وتجمعها. قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه. فانتقموا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا. ولا يخرج لك عامل فيخالق أمرهم إلا خونوه عندك ونفوه. حتى تسقط منزلته. فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وصنعوهم. فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال. ليقبوا بها على ظلم رعيتك. ثم فعل ذلك ذوو المقدره والثروة من رعيتك. لينالوا ظلم من دونهم. فامتألت بلاد الله بالطمع ظلما وبغيا وفسادا. وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل. فإن جاء متظلم جيل بينك وبينه. فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك.

وجدك قد نهيت عن ذلك. ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم. فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك فإن المتظلم منه له بهم حرمة، فأجابهم خوفا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه. فإذا أجهد وأحرج ثم ظهرت صرخ بين يديك، فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره. وأنت تنظر فما تنكر، فما بقاء الإسلام على هذا؟

وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين، فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى بكاء شديدا، فحثه جلساؤه على الصبر. فقال أما إنى لست أبكى للبلية النازلة بى، ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته. ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب، نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم. ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر هل يرى مظلوما. فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله، بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبدا فى الطفل يسقط من بطن أمه ماله على الأرض مال. وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه. فما يزال الله يلفظ بذلك الطفل. حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذى تعطى، بل الله الذى يعطى من يشاء ما يشاء، فإن قلت إنما تجمع المال لتشد به السلطان، فقد أراك الله عبدا فى بنى أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرام حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية حى أجسم من الغاية التى أنت فيها. فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه.

يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ فقال المنصور: لا. فقال: فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل. ولكن بالخلود فى العذاب الأليم؟ قد رأى ما عقد عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشيت إليه رجلاك. هل يعنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب؟ قال: فبكى المنصور، ثم قال: ليتنى لم أخلق. ويحك! فكيف أحتمل لنفس؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن للناس أعلاما يفرعون إليهم فى دينهم، ويرضون بهم فى دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك. وشاورهم فى أمرك يسددوك. قال: قد بعثت إليهم فهربوا منى، قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك،

وسهل حجابك، وانصر المظلوم. واقمع الظالم. وخذ الفىء والصدقات من حلها. واقسمها  
بالحق والعدل على أهلها. وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة. وجاء  
المؤذنون فسلموا عليه. فصلى وعاد إلى مجلسه، وطلب الرجل فلم يوجد.

من كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.

□□□

## الراهب والخليفة عمر

روى أسامة بن زيد. عن زيد بن أسلم. عن أبيه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب. قال: خرجت مع أناس من قريش في الجاهلية في تجارة إلى الشام، فبينما أنا في سوق من أسواقها بدمشق إذ أنا ببطريق قد جاءني فأخذ بعنقي، فذهبت أنازعه نفسي. فقيل لي: لا تفعل فليس لك منه النصف، قال: فخرجت معه فأدخلني كنيسة فإذا تراب كثير متراكم بعضه على بعض، فدفعت إلى بمجرفة وفأسا وزنبيلًا. فقال لي: انقل هذا التراب واحفر لي هاهنا بئرا.

قال: فجلست أفكر في أمري كيف أصنع. قال: فأتاني في الهاجرة وعليه سبنية قصب، أرى سائر جسده منها. ولم أحرك شيئا. فقال لي: وإنك على ما أرى ما حركت شيئا، ثم ضم كفه وأصابه يضرب بها وسط رأسي، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمر، أو قد بلغت ما أرى!

قال: فقمت إليه بالمجرفة فضربت بها رأسه فنثرت دماغه وخر ميتا. وخرجت إلى الطريق، وأنا لا أدري أين أسلك من بلاد الله تعالى. فمشيت بقية يومي وليلتي من الغد حتى أصبحت، ثم انتهيت إلى دير فاستظللت بظله. فخرج إلى رجل من أهل الدير، فقال: يا عبد الله! ما يقعدك ها هنا؟: فقلت: أضللت أصحابي. قال: والله ما أنت على طريق. وإنك لتتظر بعين خائف، قم فادخل الدير فأصب من الطعام والشراب، وأقم ما بدا لك. قال: فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطف لي، ثم سعد في النظر وخفضه. ثم قال: يا هذا! لقد علم أهل الكتاب إنه لم يبق على وجه الأرض رجل أعلم مني اليوم. وإني أجد صفتك. إنك الذي تخرجنا من هذا الدير. وتغلب على هذا البلاد. فقلت: أيها الرجل! ذهبت من الأمر في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت والله الذي لا إله إلا هو صاحبنا من غير شك، فاكتب لي على ديري هذا وأهله وما فيه أمانا، قال: قلت: أيها الرجل! قد صنعت معروفا فلا تكدره، قال: إنما هو كتاب في رق، وليس عليك فيه مؤونة ولا شيء، فإن كنت صاحبنا فهو الذي أريد، وإن تكن الأخرى فأى شيء يضرك؟

قلت: هات، فكتبت له أمانا ثم ختمته ودفعته إليه. قال: فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلي، ثم دعا بأتان قد أوكفت، فقال: أسمع؟ قلت: نعم. قال: اخرج على هذه الأتان

فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دبر إلا علفوها؛ حتى إذا بلغت مأمنا فخل عنها واضرب وجهها مدبرة. فإنها تعلق وتسقى حتى تصل. قال: فركبتها ثم سرت عليها حتى أدركت أصحابي وهم متوجهون. فلم أمر بقوم إلا سقوها وعلفوها حتى لحقت أصحابي. فنزلت عنها. وضربت وجهها مدبرة. ثم سرت معهم حتى قدمت على أهلي.

قال أسلم: فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب في خلافته، وهو صاحب دبر العدس بذلك الكتاب، فلما قرأه عمر عرفه. فقال له الراهب: وف لي بشرطى، فقال له عمر: جاء أمر غير ذلك، جاء ما ليس لعمر ولا لأبي عمر فيه شيء، فاستشار فيه عمر المسلمين، فقالوا: نرى أن تفي له يا أمير المؤمنين، قال عمر: هل عندك للمسلمين منفعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره. ثم قال عمر للراهب: إن أضفتم المسلمين، وأرشدتموهم الطريق، وهديتهم الضال، ومرضتم المرضى ممن يمر بكم من المسلمين فعلنا، قال: نعم يا أمير المؤمنين نفعل. قال: فوفى له عمر.

من كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.



## ابن العاص وولاية مصر

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، قال: خرجت في الجاهلية بتجارة إلى الشام فنزلت في بعض الطريق لقضاء حاجة، وتقدمتني القافلة، فإني لكذلك إذ أقبل إلى راهب على أتان له قد خرج في بعض الزيارات يريد فلسطين وهو يذهب عطشا، وكان يوما صائفا، فسلم على واستسقاني ماء، ولم يكن معي غير فضلة في إداوة معلقة على كفل الفرس، فأثرته بها. وتبين له ذلك، فشكر لي فعلى، وشكا تعباً لحقه، وأنه يريد النزول والمراحة قليلا، وهو خائف من الوحدة وفساد الطريق، وكأنه أراد الأنس بي.

فقلت له: انزل فإني أونسك ولا أتركك. وكنت عارفاً بالطريق، فخرجنا إلى ظل شجرة أرز فمرسنا تحتها. وقلت: أعينه، ثم ألحق القافلة بعد تعريسيها بساعة، وكان له غلام ورحل قد تأخر عنه، فكان مع ذلك ينتظر. فلما نزلنا استلقى على جنبه ونام، وركبت فرسى أطلب بعض الحياض التي كنت أعرفها لأملأ إداوتي منها، فوجدت واحدا منها فملأت الإداوة، ورجعت والراهب نائم بحاله، وإذا بثعبان عظيم يسير إليه لينهشه، فاخترطت سيفي ونزلت إليه فلحقته، وقد كاد ينقره فقتلته، وجلست أخفر الراهب إلى أن قام وقد استراح من تعبته، فعرضت عليه الماء فشرب، ونظر إلى الثعبان فهاله أمره، فعرفته أنه قصده وأنى قتلته فشكر، وقال: قد أحييتني مرتين. ووجب حقك على، قد حبست نفسك على، ونزلت معي حتى استرحت، وآنستني من الوحدة ووحشة الطريق، وأنا مع ذلك في غربة. ولا أدري بماذا أكافئك.

ثم ركبنا وسرنا فما لحقنا القافلة إلا مساء، وطلبت رحلي وغلاما كان معي إلى أن وجدته، فأنزلت الراهب معي إلى أن أصبحنا، فجاءه غلامه ورحله، فقال لي: أين تريد؟ فعرفته أني أريد دمشق بتجارة معي، فسألني عنها فأخبرته، فقال لي: أي تريد؟ تدخل معي إلى مصر فإن لي بها حالا جميلة وجاها عريضا. ولعلي أكافئك على ما أوليتني، فإن يدي تقصر ها هنا عن مكافأتك، وعلى أن أريحك في تجارتك ضعف ما تأمله من الربح منها، فوقع كلامه بقلبي. فقلت له: على أن تخرج معي من يكفلني ويحملني في طريقي، أو تضيفني إلى من يبلغني هذا المكان. فإني إذا بلغته عرفت الطريق إلى موضعي. قال: بل أدرك إليه من طريق هو أقرب من طريقك هذا.

فسرت معه فرأيت رجلا جميل الصحبة والمرافقة، وكان فيه مع ذلك فهم وعلم، وكان من أبناء القبط الأولين، وكان يخبرني عن مصر وأهلها في القديم، وعن عجائبها وطلسماتها وملوكها، وخبر بخت نصر وكيف دخل البلد وأخذه بالحيلة التي تمت له حتى وصل إليه وما كان بعد ذلك، ولم نزل في أنس إلى أن دخلنا مصر، فلم تكن نمر بموضع ولا دير إلا تلقونا بالإكرام والجميل، وعدينا النيل، وسرنا حتى دخلنا الإسكندرية، فأنزلني عنده وأتاه جماعة من أهله وذوى قرابته وجماعة من وجوه أهل البلد، وكان مقدما عندهم، فسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وقضوا حوائجه وأكرموه وأتحفوه، ولم يكن يدخل إليه أحد من أهله وغيرهم إلا أخبرهم بخبري، وأنى خلصته من العطش بما كان معي من الماء، وأنى آثرته على نفسي، وخبرهم بما كان من أمر الثعبان، فما منهم أحد إلا برنى وأكرمني، واجتمعت لي دنانير كثيرة، ووجه أقاربه وباع منهم ومن غيرهم البضاعة التي كانت معي، وأفضلت فيها فضلا كثيرا، وأقمت أكثر من شهر وأنا أطوف بالإسكندرية، وأنظر إلى عجائبها ومنارها ثم استأذنته للخروج، فقال لي: إن لنا عيدا وقد حضر، فأقم عندي حتى تشاهده وأوجه معك من يخفرك إلى حدود أرض الحجاز، فأجيبته إلى ذلك.

وحضر العمدة، وزينت كنائس الإسكندرية، وخصوا منها كنيسة مرخمة عظيمة كانوا يجتمعون إليها بأحدث الزي، وكان خارج الكنيسة أسطوان كبير واسع مفروش بالبسط، وقد جلس عليه رؤساؤهم وبطارقتهم، وكان من عاداتهم أن يضربوا خارج الأسطوان في فسيح هناك بصولجان وكرة تطير إلى ذلك الأسطوان، فمن وقعت في حجره الكرة من أولئك البطارقة والرؤساء، حكم له بولاية مصر.

قال عمرو: فأجلستني وسط أولئك الوجوه والبطارقة فإني لمشغول بالنظر إليهم وإلى زيهم، وأولئك خارج الأسطوان يضربون تلك الكرة إذ طارت إلى فسقطت في حجرى فأكبروا ذلك، وجعلوا يتأملوني ويعجبون مني، ومن سقوط الكرة في حجرى، ثم ردوا الكرة إلى خارج، وضربوها أيضا مرة أخرى، فطارت حتى سقطت ثانية، فازدادوا عجباً، وجعل بعضهم ينظر إلى بعضٍ ويؤمزون بكلامهم، وأنا لا أعرف ما يقولون، ثم أخرجوا الكرة وضربوها مرة ثالثة فسقطت في حجرى ودخلت في كمي، فزاد تعجبهم وقالوا: إن هذا الأمر يراد أو بطل فعل الكرة.

وأقمت حتى انقضت أيام عيدهم، فسألته أن يأذن لي في الخروج إلى الحجاز، فأذن لي في ذلك، بعد أن شرط على أن لا أترك زيارته في كل وقت يمكني، وأنفذني مع غلام له

وجهزنى بطريف من ثياب الوشى التى كانت تعمل بالإسكندرية ، وثياب من دبيق دمياط. وأكسية رقيقة من صوف ، وفصوص وغير ذلك ، فأنصرفت إلى أهل بوفرف حال ، وأخرجنى الغلام من ناحية أستغنى فيها عن الخفير. وكان الغلام الذى وجهه به معى يدري أمرهم ، فسألته عن أمرة الكرة فعرفنى أن من عاداتها ذلك اليوم. ألا يقع فى حجر أحد إلا ولى مصر، وأنهم عجبوا من ذلك. وقالوا: هذا رجل عربى وغريب. وكيف يلى هذا مصر؟! وصرخوا الأمر إلى فساد فعل الكرة.

قال عمرو: فوق فى نفسى من ذلك أمر لم أعرف الوجه فيه. وسرت إلى منزلى وأنا أوفر التجار الذين خرجت معهم إلى الشام وأحسنهم حالا. وعرض فى نفسى شىء من أمر مصر، فقلت: أحمل تجارة إلى بلد الروم. وأدخل إلى الملك ولعله أن يقلدنى أمر مصر، ثم قلت: إن هذا النظر فاسد، وهل يترك الملك بطارقتة وأصحابه ويولينى أنا وأنا عربى على غير دينه؟ فسمعت قائلا يقول: لأبد لفلان من ذلك ويصير منه إلى ما يحب. فزاد ذلك فى قوة أملى فى الولاية على مصر إلى أن كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ما كان، وجاءته هدية المقوقس، وقال: «إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، وجازوا أهلها بالجميل. فإنهم خؤولة إبراهيم»، فلما سمعت ذلك تحققت أنه سيكون لى يد على مصر.

من كتاب (بهجة المجالس وأنس المجالس) لابن عبد البر.



## من عواقب اللين

حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن المنجم، عن أسلافه: إن المأمون نكب عاملا له. يقال له: عمرو بن نهيوى. صهر موسى بن أبي الفرج بن الضحاك. من أهل السواد، موسرا، فأمر محمد بن يزيد أن يتسلمه إليه ويعذبه ويعاقبه، حتى يأخذ خطه بعشرة آلاف ألف درهم. ويستخرجها منه.

فسلم عمرو إلى محمد، فأكرمه وألطفه. وأمر بخدمته وترفيهه، وأفرده في حجرة سرية من داره، وأخدمه فيها من الفرش والغلمان بما يليق به. ولم يكلمه ثلاثة أيام. والمأمون يسأل عن الخير، فيبلغه ترفيهه له، فيغتاز ويسأله فيقول: هو مطالب. فلما كان في اليوم الرابع، استدعى عمرو محمدا، فدخل إليه.

قال محمد بن يزيد: فقال لى: يا هذا، قد عرفت ما تقدم به إليك الخليفة فى أمرى، ووالله ما رأيت هذا المال. ولا نصفه، ولا ثلثه قط. ولا يحتوى عليه ملكى، ولعل الخليفة يريد دى، وقد جعل هذا إليه طريقا. وقد تفضلت على لا يسعنى معه أن أدخر جهدا فى تجميلك عند صاحبك، وقد كتبت تذكرة بجميع ما يحتويه ملكى، ظاهرا وباطنا، وهى هذه، وسلمها إلى، وإذا هى تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعلى، وعلى، وحلف بالطلاق والعناق. والإيمان المغلظة، ما تركت لنفسى بعد ذلك، إلا ما على من كسوة تستر عورتى، وهذا وسعى وجهدى. فإن رأيت أن تأخذته وتساءل الخليفة الرضا به منى، فإن فعل فقد خلصنى الله بك، ونجاني من القتل على يدك، وإن أبى فإنه يسلمنى إلى عدوى الفضل بن مروان، وهو القتل، ووالله لا أعطيت على هذا الوجه، درهما واحدا، ولا كنت ممن يجىء على الهوان دون الإكرام، وسألتف<sup>(١)</sup> ولا يصل الخليفة إلى حبة من مالى، ولكن المنة لك على حاصلة، فإن عشت شكرتها، وإن مت فالله مجازيك عنى.

قال: فأخذت التذكرة، ورحت إلى المأمون. فقال: ما عملت فى أمر عمرو بن نهيوى؟ فقلت: إنه قد بذل ألفى ألف درهم. وليس عنده أكثر من ذلك. فاستشاط، وقال: لا، وكرامة له، ولا أربعة آلاف ألف، ولا ثمانية آلاف ألف.

وقال لى الفضل: ما دمت ترفهه، وتكرمه، وتجلسه على الدسوت، وتخدمه بنفسك وغلمانك، كيف لا يتقاعد؟ فقلت له: فتسلمه أنت إن شئت. فقال الخليفة: خذه إليك. فأخذه. وأرهقه. وطالبه بعشرة آلاف ألف، ودهقه وضربه، وهو لا ينحل بشىء. فنزل معه

(١) يعنى: سأموت.

إلى خمسة آلاف ألف، فلم يستجب. فقتع منه بثلاثة آلاف ألف، فلم يجب. فلما زاد عليه المكروه، وخاف الفضل أن يتلف في العذاب، فوجب المال عليه في نفسه بإتلافه إياه، رفق به وداراه وخلع عليه، ورفهه أياما. وقال له: كان محمد بن يزيد بذل عنك ألفي ألف درهم، وقد قنعت بها منك، فهاتها. فقال: ما ملكتها قط، ولا بذلتها لمحمد.

فجاء الفضل إلى المأمون، فاقتص عليه خبره معه في معاقبته ومطالبته أولا، بالكل، واقتصاره ثانيا، وترقيته له وإكرامه وقناعته منه بألفي ألف درهم، وإقامته على أنه لا مال له، وإنكاره أن يكون بذل ذلك. وكنيت حاضراً. فانقطع الحبل في يد المأمون، وكاد يهيم بالفضل.

فقلت: يا أمير المؤمنين الرجال لا يكالون، وليس كل أحد يجيء على الهوان، وإن الفضل استخطأ رأيي فيما عاملت عمرو به، فصار إليه، وعامله بمثله حيث لم ينفع ذلك، ولو تركني معه في الأول، لاستخرجت منه ثلاثة آلاف ألف عقوا، وهذه تذكرة بخط عمرو تحتوى على ثلاثة آلاف ألف فأخرجها، وطرحتها بين يديه.

وقلت: لو كنت علمت أن أمير المؤمنين يجيبني في ذلك الوقت، إلى ثلاثة آلاف ألف، عنه، لبذلتها، فبذلت ألفي ألف، حتى إن لم يقنع، زدت ألف ألف، والآن فقد فسد هذا، ووالله لا أعطى عمرو، مع ما جرى عليه، حبة، فإن استحل أمير المؤمنين دمه، فذاك إليه، وإلا فليس إلى استخراج شيء منه سبيل.

قال: فاستحيا المأمون، وأطرق مفكرا مليا، ثم رفع رأسه. وقال: والله لا كان كاتب من كتابي، ولا نبطي من عمالي، أكرم، وأوفى، وأصح تدبيراً مني. قد وهبت لك يا محمد، عمرو وما عليه، فخذها واصنع به ما شئت. فتسلمته من الفضل بن مروان، وأطلقت، مكرماً إلى بيته.

من كتاب (نشوار المحاضرة) للتنوخي.



## الخلفاء وعجائب الأرقام !

قال الصولي: الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لابد أن يخلع. النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والحسن خلع ثم معاوية. ويزيد، ومروان. وعبد الملك، وعبد الله بن الزبير فخلع. ثم لم يكن في الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد ثم إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم.

ثم أتى الله بالدولة العباسية: فكان منهم السفاح، والمنصور، والمهدى، والهادى، والرشيد، والأمين فخلع. ثم المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل. والمنصور والمستعين فخلع. ثم المعتز، والمهتدي، والمعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر فخلع في فتنة ابن المعتز ثم رد.

قال صاحب (رأس مال النديم): ثم القائم، والراضى، والمقتفى، والمكتفى، والمطيع، ثم الطائع فخلع. قال الصلاح الصفدى: ثم القادر، والقائم، والمقتدى، والمستظهر، والمسترشد، والراشد فخلع. ثم المقتفى، والمستنجد، والمستضى، والناصر، والظاهر، والمستعصم فخلع، وقتل أيام هولاءكو ملك التتار.

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية هو: المعتصم. لأنه الثامن من ولد العباس، والثامن من خلفاء بنى العباس، والثامن من أولاد الرشيد، وولد سنة ثمان وسبعين ومائة. ومات وعنده ثمان وأربعون سنة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمان بنات، وخلف ثمانية آلاف دينار وثمانية وعشرين ألف درهم وثمانى عشر ألف دابة. وفتوحه ثمانية، وتوفى لثمان بقين من ربيع الأول.

امرأة زوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هي: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. زوجها أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وابنها الحسن السبط، وزوج ابنتها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هو زوج أم كلثوم بنت على.

ثلاثة نسوة لا رابعة لهن ولدت كل واحدة منهن خليفتين وهن: ولاده بنت العباس العباسية زوجة عبد الملك بن مروان، ولدت له الوليد وسليمان كل منهما ولى الخلافة. وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد، زوجة الوليد بن عبد الملك، ولدت له يزيد وإبراهيم، كل منهما ولى الخلافة. والخيزران زوجة المهدي، ولدت له موسى الهادى وهارون الرشيد. ولى كل منهما الخلافة.

امراة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة هي : عاتكة بنت يزيد بن معاوية : يزيد أبوها . معاوية جدها . معاوية بن يزيد أخوها . عبد الملك بن مروان زوجها . مروان بن الحكم حموها ، يزيد بن عبد الملك ابنها . الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها . إبراهيم ويزيد ابنا الوليد ابنا ابن زوجها .

فاطمة بنت عبد الملك : أبوها عبد الملك ، وجدها لأبيها مروان ، وإخوتها الوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك . وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد ، وزوجها عمر بن عبد العزيز . وجدها لأبيها يزيد بن معاوية ، وأبو جدها معاوية بن أبي سفيان ، وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية .

من كتاب (مآثر الأناقة في معالم الخلافة) للقلقشندي.

□□□

## طرف من أخبار ابن عتيق

وكان ابن أبي عتيق من نساك قريش وظرفائهم، بل كان قد بذهم طرفا، وله أخبار كثيرة. فمن طريف أخباره أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة:

فما نلت منها محرما غير أننا كلانا من الثوب المطرفِ لابسُ

فقال: أبنا يعلب ابن أبي ربيعة! فأى محرم بقي! فركب بغلته متوجها إلى مكة، فلما دخل أنصاب الحرم، قيل له: أحرم. قال: إن ذا الحاجة لا يحرم، فلقى ابن أبي ربيعة فقال: أما زعمت أنك لم تركب حراما قط! قال: بلى، قال: فما قولك: كلانا من الثوب المطرف لابس، فقال له: إذا أخبرك! خرجت بعلّة المسجد، فصرنا إلى بعض الشعاب، فأخذتنا السماء، فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان به، لئلا يروا بها بلة فيقولوا: هلا استترت بسقائف المسجد! فقال لها ابن أبي عتيق: يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة. وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

من رسولي إلى الثريا بأني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب!

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا، فاستأذن عليها، فقالت: والله ما كنت لنا زوارا، فقال: أجل، ولكني جئت برسالة، يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة: ضقت ذرعا بهجرك والكتاب. فلامه عمر، فقال له ابن أبي عتيق: إنما رأيتك متلدا تلتمس رسولا، فخفقت في حاجتك، فإنما كان ثوابي أن أشكر.

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته، فقال مصعب: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني، فقال له ابن أبي عتيق: عدل المال، ثم صار إلى عائشة، فجعل يستعجبها لمصعب، فقالت والله ما عزمي أن أكلمه أبدا. فلما رأى جدها قال لها: يا بنت عم. إنه قد ضمن لي إن كلمته عشرة آلاف درهم، فكلّميه حتى آخذها، ثم عودي إلى ما عودك الله.

ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما: إنني لمشعوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله، فقال له ابن أبي عتيق: إن دفعتها إليك، أتقضى لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم. قال: إذا اجتمع الناس عندك العشيّة فإنّي أخذ في مآثر قريش، ثم أمسك عن الحسن، فلمني على ذلك، فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش، فقال له مروان: ألا تذكر أولية أبي محمد، وله في هذه ما ليس لأحد؟ فقال: إنما كنا في ذكر الأشراف، ولو كنا في

ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد! فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق. فقال له الحسن - وتبسم - : ألك حاجة؟ فقال: ذكرت البغلة، فنزل الحسن ودفعتها إليه.

ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الأشراف عليه من قريش والأنصار، فقالوا له: إنك لا تعمل عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والرياء. ففعل. وأجلهم ثلاثا. فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة. فحط رحله بباب سلامة الزرقاء، وقال لها: بدأت بك قبل أن أصير إلى منزلي. فقالت: أو ما تدري ما حدث؟ وأخبرته الخبر، فقال: أقيمي إلى السحر حتى ألقاه. فقالت: إنا نخاف ألا تعنى شيئا ونكظ، فقال: إنه لا بأس عليك. ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه. فأخبره أن أحب ما أقدمه عليه حب التسليم عليه. وقال له: إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرياء. قال: إن أهلك أشاروا على بذلك. قال: فإنك قد وفقت. ولكنى رسول امرأة إليك تقول: قد كانت هذه صناعتى فتبتت إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال عثمان: إذن أدعها لك. قال: إذن لا يدعها الناس. ولكن تدعو بها فتتظر إليها، فإن كانت ممن يترك تركتها. قال: فادع بها، قال: فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت. وأخذت سبحة في يدها. وصارت إليه، وحدثته عن مآثر آبائه. ففككها؟ فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي للأمير، ففعلت. فأعجب بذاك. فقال لها: فاحدى للأمير، فحركه حداؤها، ثم قال لها: غيرى للأمير. فجعل يعجب بذلك عثمان، فقال له ابن أبي عتيق: فكيف لو سمعتها في صناعتها! فقال: قل لها فلتقل، فأمرها فتغنت:

سددن خصاص الخيم لما دخلنه بكل لبانٍ واضحٍ وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها، ثم قال: لا والله، ما مثلك يخرج عن المدينة! فقال له ابن أبي عتيق: إذن يقول الناس أذنٌ لسلامة في المقام ومنع غيرها! فقال له عثمان: قد أذنتُ لهم جميعا.

من كتاب (الكامل) للمبرد.



## أوائل أمير المؤمنين عمر

أول خليفة سمي بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو أول من فتح الفتوح وأول من مصر الأمصار، وهو أول من دون الدواوين في الإسلام. قال القضاعي: دونها في سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين. قال الماوردي: واختلف في سبب وضعه. قيل إن أبا هريرة رضى الله عنه قدم عليه بمال من البحرين فقال: ماذا جئت به؟ قال: خمسمائة ألف درهم: فاستكره عمر وقال: أتدرى ما تقول؟ قال: نعم، مائة ألف خمس مرات. فصد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاء مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا. وإن شئتم عددنا لكم عدا، فقال رجل: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدنون ديوانا لهم، فدون لنا أنت ديوانا، فأمر بوضع الدواوين، وقيل: بل بعث عمر رضى الله عنه بعثا وعنده الهرمزان، فقال لعمر: قد أعطيت أهل هذا البعث الأموال، فإن تخلف منهم رجل أدخل بمكانه من أين يعلم صاحبه، فأثبت لهم ديوانا، فسأله عن الديوان ففسره له، فأمر بوضع الديوان.

وقيل أن عمر استشار المسلمين في أمر المال فقال على: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا، فقال عثمان: أرى مالا كثيرا، وإن لم تخص الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأخذ انتشر الأمر، فقال خالد بن الوليد: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا، فأخذ بقوله.

وهو أول من أرخ بعام الهجرة، قال في (ذخيرة الكتاب): لما أراد وضع التاريخ جمع الناس للمشورة، فقال بعضهم: نؤرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل بوفاته، وقال بعضهم: بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول ظهور الإسلام، فصوبه عمر وأجمع رأيهم عليه، وكانت الهجرة في شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة، وقدم المدينة لاثني عشرة ليلة خلت منه، فاختلفوا في الشهر الذي يبدأون به، فأشار بعضهم بالبداة برمضان لشرفه. فقال عمر: بل بالمحرم، لأنه منصرف الناس من حجهم، فرجع القهقري ثمانية وستين يوما، وهي القدر الذي مضى من أول المحرم إلى اثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وابتداء التاريخ من أول المحرم لتلك السنة. قال أبو هلال العسكري: أراد بذلك اجتماع الأشهر الحرم في سنة واحدة.

وهو أول من اتخذ بيت مال، فيما ذكره العسكري عن قتادة، وهو أول من سن قيام شهر

رمضان وجمع الناس على إمام واحد في التراويح، وذلك سنة أربع عشرة، وهو أول من عس بالليل، وهو أول من عاقب شاعرا على الهجاء، عاقب الحطيئة حين هجا الزبيرقان بن بدر، بأن حبسه في بئر ثم أخرجه وطلب شفرة يوهمه أنه يريد قطع لسانه تخويفا له ليكف عن الهجاء. وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين (جلدة). وكان أبو بكر رضى الله عنه قبل ذلك يجلد فيه أربعين.

وهو أول من حرم المتعة بالنساء، وهى أن تنكح المرأة على شيء إلى أجل، وكانت مباحة مثل ذلك. وهو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وهبتهن وجعلهن ميراثا. وهو أول من مسح سواد العرق على يد عثمان بن حنيف، وهو من أرض الموصل إلى عبادان طولاً، وذلك مائة وخمسة وعشرون فرسخاً، ومن عقبة حلوان إلى القادسية عرضاً، وذلك ثمانون فرسخاً، وبلغت جريباته ستة وثلاثين ألف جريب.

وهو أول من صالح العمال على مال يأخذه منهم، وكان ذلك أنه شاطر عمرو بن العاص ماله وهو أمير مصر يومئذ. وهو أول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة حين أقحطوا في عام الرمادة، والأمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص، قال القضاعي: حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس في ثمانية أشهر، وجرت فيه السفن بالطعام من عامه فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القلزم فيحمل منها إلى المدينة. وهو أول من أعال الفرائض، فيما ذكره العسكرى عن ابن عباس، وكان ابن عباس ينكر القول، ولم يظهر ذلك إلا بعد موت عمر، ف قيل له: هلا قلت ذلك في زمن عمر؟ قال: كان رجلاً مهيباً فهبته. وهو أول من اتخذ الدرة وحملها ليعذب بها الجناة، وكانت من الهيبة بحيث قال الشعبي: إن درة عمر لأهيب من سيف الحجاج.

من كتاب (مأثر الأناقة في معالم الخلافة) للملقشندى.



## تيمورلنك وخراب أصفهان

فلما وصل إلى أصفهان، وكانت من أكبر البلدان مملوءة بالأفاضل ومحشوة بالأماثل، وبها شخص من علماء الإسلام، والسادة الأعلام، قد بلغ في العلم الغاية. وفي العمل والاجتهاد النهائية، أفعاله مبرورة، وكراماته مشهورة، ومآثره مذكورة، ومحاسنه على جبهة الأيام مسطورة، وهو معتقد المسلمين، وكان اسمه إمام الدين، وكان أهل أصفهان يذكرون له تيمور، ويحذرون من شره أى محذور، فيقول لهم ما دمت فيكم حيا، لا يضركم كيده شيئا، فإن وافاني الأجل، فكونوا من أذاه على وجل، اتفق أنه في وصول تيمور، توفي الشيخ المذكور، فأصبحت أصفهان ظلعات بعضها فوق بعض بعد أن كانت نورا على نور، فتضاعفت حسرتهم، وترادفت كسرتهم، فوقعوا في الحيرة، وصاروا كأبي هريرة رضى الله عنه حيث يقول:

لنأس هم ولى فى اليوم همان فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان

فخرجوا إليه وصالحوه على جمل من الأموال، فأرسل فيهم لاستخلاصها الرجال، فوزعوها على الجهات، وفرضوها على الحارات والمحلات. وتفرق فيهم المستخلصون، فكانوا يعيثون فيهم ويعبثون. واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم، وتوصلوا إلى أن مدوا أيديهم إلى الحرم، فانتكوا منهم أى نكاية، فرفع أهل أصفهان إلى رئيسهم الشكاية، وكثرت منهم الشكاية. وهم قوم لهم حمية، وقالوا الموت على هذه الحالة، خير من الحياة مع هذه الاستطالة، فقال لهم رئيسهم إذا أقبل المساء، فإننى أضرب الطبل لكن لا تحت كساء، فإذا سمعتم الطبل قد دق، فالقول قد حق، فليقبض كل منكم على نزيهه وليحتكم فيه بسمين رأيه وهزيله، فاتفقوا على هذا الرأى المعكوس والأمر المنكوس فى الطالع المنكوس، وقصروا مدى أنظارهم السقيمة، عن قصارى هذه الأمور الوخيمة، ولما تعرى العنان من ثوب نوره، وأبدل الجو قمامه بسموره، ومضى هزيع من الليل، ضرب الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل، فقتلوهم وكانوا نحو من ستة آلاف، وأصبحوا، وقد غرسوا فى دوح العصيان أغصان الخلاف، فأثمر ذلك لهم الحور بعد الكور وبان لهم البوار فأصبحوا بورا بهذا البور.

ولما سل الفجر حسامه، وحسر النهار لثامه، بلغ تيمور ذلك الصنع المشئوم فنفخ الشيطان منه فى الخيشوم، فارتحل من فوره واستل غضب غضبه ونثل جعبة جوره،

وتوجه نحو المدينة مزجرا متكالبا مستأسدا متنمرا، فوصل إليها، وأخنى عليها، وأمر بالدماء أن تسفك، وبالحرمان أن تهتك، وبالأرواح أن تسلب، وبالأموال أن تنهب، وبالعمارات أن تخرب، وبالزرع أن تحرق، وبالضرع أن تحرق، وبالأطفال أن تطرح، وبالأجساد أن تجرح، وبالأعراض أن تثلم، وبالذمم أن تسلم ولا تسلم، وأن يطوى بساط الرحمة، وينشر مسح النقمة، فلا يرحم كبير لكبره، ولا صغير لصغره، ولا يوقر عالم لعلمه، ولا ذو أدب لفضله وحلمه، ولا شريف لنسبه ولا منيف لحسبه، ولا غريب لغربته، ولا قريب لقربته وقربته، ولا مسلم لإسلامه، ولا نمي لذمامه، ولا ضعيف لضعفه، ولا جاهل لركاكة رأيه وسخفه وبالجملته فلا يبقى على أحد، ممن هو داخل البلدة فأما أهل المدينة فعلموا أنه ليس للجدال مجال، فضلا عن ضراب وقتال وأن قبول الاعتذار محال وأنه ليس ينجيهم من ريب المنون مال ولا بنون ولا يقبل منهم في تلك الساعة عدل ولا تنفعهم شفاة فتحصنوا يحصون الإصطبار، وتدرعوا دروع الاعتبار، وتلقوا سهام القضاء من حنايا النايا-بمجن تسليم المراد، واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف بأعناق التفويض والانتقاد، فأطلق في ميادين رقايمهم عتات الحسام البتار، وجعل مقايهم بطون الذئاب والضباع وحواصل الأطيبار، ولا زالت عواصف الفناء تحتهم من أشجار الوجود حتا، حصروا عدد القتلى فكانوا نحو ست مرات من أمة يونس بن متى (أى ستمائة ألف)، فاستغاث بعض اليصراء، بواحد من رؤوس الأمراء، وقال البقية في البقية، والرعاية في الرعاية، فقال ذلك الأمير للسائل الفقير اجمعوا بعض الأطفال عند بعض القلل، فلعن أن نلين منه عند رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل، فامتثلوا ما به أمر، ووضعوا شردمة من الأطفال منه على الممر.

ثم ركب ذلك الأمير مع تيمور، وأخذ به على تلك الأطفال ومرو، ثم قال له انظر يا مخدوم تظر الرأفة إلى المرحوم، فقال: ما هؤلاء الطرحي الأشقياء؟ فقال أطفال معصومون، وأمة مرحومون محرومون، استحر القتل بوالديهم، وحل غضب مولانا الأمير على أكابريهم وذويهم، وهؤلاء يسترحمونك بعواطفك الملوكية وصغرمهم، ويستشفعون إليك بذلهم وضعفهم ويتهمهم وفقهم وكسرهم، أن ترحم نلهم، وتبقى على من بقي لهم، فلم يحر جوابا ولا أبدى خطايا، ثم مال بعنان فرسه عليهم، ولم يظهر أنه يصبر بهم أو نظر إليهم، ومالت معه تلك الجنود والعساكر، حتى أتى منهم على الأول والآخر، فجعلهم طعمة للسنايك، ودقة تحت أقدام أولئك ثم جمع الأموال، وأوثق الأحمال، ومال راجعا إلى سمرقند بما قد نال

وكم بين هذه الأمور والقضايا، من دواه وبلايا، وأخبار وحكايات وتجهيز سرايا، وتولية وعزل، وإبراز هزل فى صورة جد وجد فى صورة هزل، وبناء وهد، وصد ورد، وتعمير غامر، وتخریب عامر، وتهان وتعاز وانحراف وتواز ومباحثات مع علماء، ومناظرات مع كبراء، ورفع وضعاء ووضع شرفاء، وتمهيد قواعد، وتقريب أباعد، وتبعيد أدان، وبروز مراسيم إلى كل قاص ودان. إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر، ولا يضبط بديوان ولا دفتر.

من كتاب (عجائب المقدور فى أخبار تيمور) لابن عرب شاه

□□□

## ثورة القاهرة الأولى<sup>(١)</sup>

عمل (الفرنسيون) لهم (للمشايخ) ديوانا، وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة. والآيات (القرآنية) المتعلقة بذلك، فاستحسنوا ذلك، وأحضروا (عقدوا) الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار، فجعلوا على الأعلى (الأكبر) ثمانية فرانس (فرانك فرنسي) والأوسط ستة والأدنى ثلاثة، وما كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معافي<sup>(٢)</sup>.

وأما الوكائل (الوكالات) والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج (جمع سرج) والحوانيت. فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة (الفق) والرواج والإتساع (الغنى)، وكتبوا بذلك مناشير (منشورات) على عاداتهم. وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى<sup>(٣)</sup>، وشرعوا في الضبط والإحصاء. وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها. ولما أشيع ذلك في الناس كثر لغتهم واستعظموا ذلك، والبعض استسلم للقضاء، فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين (المشايخ)، الذي لم ينظر في عواقب الأمور ولم يتفكر أنه في القبضة مأسور؛ فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم، وأصبحوا متحزبين وعلى الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية<sup>(٤)</sup> وزعر (أوباش) الحارات البرانية، ولهم صياح عظيم وهول جسيم، ويقولون بصياح في الكلام: نصر الله دين الإسلام. وذهبوا إلى بيت قاضي العسكر وتجمعوا. وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف

(١) قامت ثورة القاهرة الأولى ضد الإحتلال الفرنسي لمصر في أكتوبر ١٧٩٨م، بعد الضرائب الفادحة التي فرضها قائد الحملة الفرنسية نابليون بوناپرت على التجار ومصادرة الأموال وهدم أبواب الحارات. فسلا عن أخبار الفطاح التي ارتكبتها الفرنسيون في مختلف المديرية، لكن نابليون استطاع دحر الثورة بعنف وشراسة بعد أن قتل آلاف المصريين، وفي النهاية خرجت الحملة الفرنسية من مصر بعد احتلال دام ثلاث سنوات (١٧٩٨ - ١٨٠١م).

(٢) يذكر الجبرتي هنا تفاصيل عن السبب الأول الذي أدى إلى اندلاع هذه الثورة وهو فرض الضرائب.

(٣) أي تحديد مستويات العقارات.

(٤) الحسينية حتى شعبي بالقاهرة، سمي بهذا الإسم نسبة لسكانيه الأوائل من العسكر الفاطمي، أصبح الحسينية من أوائل الأحياء التي عبرت خارج أسوار القاهرة الفاطمية في العصر المملوكي فأصبح عامرا بالبيوت والأسواق، تحدث عنه المقرئ (١٣٦٤ - ١٤٤١م) أنه كان يعقد من باب الفتوح قرية الخندق (حي الدمرداش) ومن باب النصر للريديانية، وأصبحت الحسينية نواة لأحياء أخرى في القاهرة مثل حي الظاهر.

وأكثر. فخاف القاضي العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابيه. فرموه بالحجارة والطوب، وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب. وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر، وفي ذلك الوقت حضر ديوى<sup>(١)</sup>. فبادروا إليه وضربوه وثخنوا جراحاته. وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه. فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون، ومن كل حذب ينسلون، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة، كباب الفتوح وباب النصر والبرقية إلى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين (البنادقة) وما جازاها، ولم يتعدوا إلى جهة سواها، وهدموا مساطب الحوانيت<sup>(٢)</sup> وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة، لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس، وأما الجهات البرانية والنواحي الفوقانية<sup>(٣)</sup> فلم يفرغ منهم فأنع ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع، وكذلك شذ عن الوفاق (الإتفاق) مصر العتيقة وبولاق، وعذرهم الأكبر قريبهم من مساكن العسكر. ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة متترسين، فوصل جماعة من الفرنساويين وظهروا من ناحية المناخلي، وبندقوا (أطلقوا البنادق) على متراس الشوانين وبه جماعة من مغاربة الفحاميين فقاتلوهم حتى أجلوهم، وعن المناخلية أزالوهم، وعند ذلك زاد الحال وكثر الرجف والزلازل. وخرجت العامة عن الحد. وبالغوا في القضية بالعكس والطرده. وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب على التمام، فهجموا على حارة الجوانية ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام. وأخذوا الودائع والأمانات. وسبوا (من السبي) النساء والبنات. وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات. وأكثروا من المعاييب ولم يفكروا في العواقب. وياتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين.

وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين وعلى تلال البريقة والقلعة واقفين. وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقناير (القنابل) والبنبات (المقذوفات) ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين. وكان كبير الفرنسيين (بونابرت) أرسل إلى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها. ومسل من المطاولة (الماطلة). هذا والرمي متابع من الجهتين، وتضاعف الحال ضعفين، حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات

(١) قائد فرسى

(٢) كانت المحلات في ذلك الوقت تتقدمها مسطبة. يجلس عليها صاحب المحل أو يستضيف عليها

زبائنه وضيوفه

(٣) المقصود هنا الأماكن غير المذكورة آنفاً.

على البيوت والحارات، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر، وجرروا عليه المدافع والقنبر، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين، كسوق الغورية والفحامين، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ولم يكونوا في عمرهم عاينوه، نادوا يا سلام من هذه الآلام. يا خفي الألفاظ نجنا مما نخاف. وهربوا من كل الأسواق ودخلوا في الشقوق، وتتابع الرمي من القلعة والكيهان، حتى تزعزعت الأركان، وهدمت في مرورها حيطان الدور وسقطت بعض القصور ونزلت في البيوت والوكائل وأصمت الأذان بصوتها الهائل، فلما عظم الخطب. وزال الحال والخطب، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا النازل. ويمنع عسكره من الرمي المتراسل. ويكفهم كما انكف المسلمون عن القتال، والحرب خدعة وسجال.

فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه، عاتبهم في التأخير واتهمهم في التقصير، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمي عنهم. وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان في المسالك، وتسامع الناس بذلك، فردت فيهم الحرارة وتسابقوا لبعض بالبشارة، واطمأنت منهم القلوب. وأما أهل الحسينية والعتوف البرانية فإنهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمي والقتال ملازمين، لكنهم خانهم المقصود وفرغ منهم البارود، والإفرنج أثخنوهم بالرمي المتتابع بالقنابر والمدافع، إلى أن فرغت من عندهم الأدوات، فعجزوا وانصرفوا، وكف عنهم القوم ودخل الإفرنج المدينة، ومروا لا يجدون لهم مانع، ومشوا إلى الغورية وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين. ثم دخلوا الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول، وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع، والفرنساوية لا يمرون بها إلا في النادر، ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر. فركب المشايخ أجمع وذهبوا لبيت صاري عسكر (نابليون)، وقابلوه وخاطبوه في العفو ولاطفوه، والتمسوا منه أمانا كافيا، وترجوا عنده في إخراج العسكر من الجامع الأزهر فأجابهم لذلك السؤال وأمر بإخراجهم في الحال.

من كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) للجبرتي.

## أديب الأندلس وإمامها

حدث الوزير الأندلسي أبو بكر محمد بن الوزير أبي مروان عبد الملك بن زهير، قال: بينما أنا قاعد في دهليز دارنا وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لي (كتاب الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني. إذ جاء الناسخ بالكراريس التي كتبها فقلت له: أين الأصل الذي كتبت منه لأقابل (لأراجع) معك به؟ قال: ما أتيت به معي.

فبينما أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز رجل بذ الهيئة (رث الثياب). عليه ثياب غليظة أكثرها صوف، وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير إتيان لها، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية. فسلم وقعد وقال لي: يا بني استأذن لي على الوزير أبي مروان. فقلت له: هو نائم، هذا بعد أن تكلفت جوابه غاية التكلف. حملني على ذلك نزوة الصبا وما رأيت من خشونة هيئة الرجل. ثم سكت عني وقال: ما هذا الكتاب الذي بأيديكما؟ قلت له: ما سؤالك عنه؟ فقال: أحب أن أعرف اسمه، فإنني كنت أعرف أسماء الكتب، فقلت هو كتاب الأغاني. فقال: إلى أين بلغ الكاتب منه؟ قلت: بلغ موضع كذا، وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به، فقال: وما لكاتبك لا يكتب؟ قلت: طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق. فقال لم أجيء به معي.

قال: يا بني خذ كراريسك وعارض، قلت بماذا وأين الأصل؟ قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباى، فتبسمت من قوله، فلما رأى تبسمي قال: يا بني أمسك على (تابع معي) فأمسكت عليه وجعل يقرأ، فوالله ما أخطأ واوا ولا فاء. قرأ هكذا نحواً من كراستين، ثم أخذت له في وسط السفر وآخره، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء، فاشتد عجبى، وقمت مسرعا حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر. ووصفت له الرجل. فقام كما هو من فوره وكان ملتفا برداء ليس عليه قميص، وخرج حاسر الرأس (مكشوف الرأس). حافي القدمين، لا يرفق على نفسه وأنا بين يديه وهو يوسعني لوما حتى ترامى على الرجل وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول: يا مولاي اعذرني، فوالله ما أعلمنى هذا الجلف إلا الساعة، وجعل يسبني، والرجل يخفض عليه ويقول: ما عرفنى، وأبى يقول: هبه ما عرفك. فما عذره في حسن الأدب؟ ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلا، ثم خرج الرجل وأبى بين يديه حافيا حتى بلغ الباب وأمر بدابته التي يركبها فأسرجت،

وحلف عليه ليركبها ثم لا ترجع إليه أبدا.  
فلما انفصل قلت لأبي: من هذا الرجل الذى عظمته هذا التعظيم؟ قال لى: اسكت ويحك  
هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها فى علم الآداب. هذا ابن عبدون ( من غرناطة توفى  
١١٣٤ م ). أيسر محفوظاته كتاب الأغانى.  
من كتاب ( المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ) لعبد الواحد المراكشى.



## من أخبار المتنبي

قال أبو علي الحاتمي<sup>(١)</sup>: لما ورد أبو الطيب المتنبي<sup>(٢)</sup> بغداد منصرفاً عن مصر، التحف رداء الكبر، فكان لا يلاقى أحداً إلا أعرض عنه تيتها، وزخرف القول عليه تمويهاً، يخيل إليه أن العلم مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره. فثقلت وطأته على أهل الأدب ببغداد، وطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه. وتخيل الوزير المهلبى - رجماً بالغيب - أن أحداً لا يستطيع مساجلته ومجاراته، وللرؤساء مذاهب فى تعظيم من يعظمونه. وساء معز الدولة أحمد بن بويه أن يرد حضرته - وهى دار الخلافة وبيضة الملك - رجل صدر عن حضرة عدوه سيف الدولة<sup>(٣)</sup>، فلا يلقى أحداً بمملكته يساويه فى صناعته.

ولم يكن هناك ميزة يتميز بها أبو الطيب إلا الشعر، فتعقبت آثاره وتتبع عيوبه، متحينا أن تجمعنا دار فأجرى أنا وهو فى مضمار يعرف فيه السابق من المسيقى. حتى إذا لم أجد ذلك قصدت موضعه، فوافق مصيرى إليه حضور جماعة تقرأ شيئاً من شعره عليه. فحين أؤذن بحضورى، واستؤذن عليه لدخولى، نهض عن مجلسه مسرعاً ووارى شخصه عنى مستخفياً، وإنما قصد بنهوضه ألا ينهض لى عند موافاتى.

ودخلت فأعظمت الجماعة قدرى، وأجلستنى فى مجلسه، وإذا تحته أخلاق عباءة قد ألحت عليها الحوادث فهى رسوم دائرة، وأسلاك متناثرة. حتى إذا خرج إلى نهضت فوفيته حق السلام، غير ضنين له فى القيام، وإذا به لابس سبعة أقبية. كل قباء منها

(١) هو إمام اللغة والأدب فى القرن الرابع الهجرى، أبو على محمد بن الحسين بن المظفر البغدادى الكاتب، له كتاب (الرسالة الموضحة). وفيه ما جرى بينه وبين المتنبنى من إظهار سرقاته وعيوب شعره وحمقه وتبيهه. توفى عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م..

(٢) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد؛ أحد أعظم شعراء العرب، ولد بالكوفة عام ٣٠٣هـ. عاش معظم حياته وأكثرها عطاءً فى بلاد سيف الدولة الحمدانى فى حلب. لكن بعد حوالى عشر سنوات فى حلب جفاه الأمير، فغادر المتنبنى من الشام إلى مصر حيث (كافور الإخشيدى)، لكنه لم يستطع أن ينال اللحظة لديه فهجاه بشدة وغادر مصر قاصداً أمراء الشام والعراق وفارس. وبعد عودته إلى الكوفة زار ابن العميد ومدحه ومدح عضد الدولة بن بويه فى شيراز. كان شعر المتنبنى أقوى تسجيل وأوضح تصوير للحياة فى القرن الرابع الهجرى، اشتهر بالحكمة والمعانى المتكررة، يعده النقاد من أعظم ناظمى الشعر بالعربية. توفى عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م..

(٣) هو على بن عبد الله بن حمدان الحمدانى التغلبى (٣٣٣هـ - ٩٤٥م / ٣٥٦هـ / ٩٦٧م). حاكم الدولة الحمدانية المستقلة عن الخلافة العباسية فى حلب بالشام، وسيف الدولة هو لقبه الذى لقبه به الخليفة العباسى، ازدهرت الدولة فى عهده، اشتهر بمقارعة الدولة البيزنطية على حدود سوريا الشمالية وكانت الحرب بينه وبينهم سجالاتاً. كان راعياً للفنون والعلماء وتزاحم على بابهِ فى حلب الشعراء والعلماء والأدباء والمفكرين، ومنهم المتنبنى وابن خالويه والقارابى وأبو فراس الحمدانى.

لون، وكان الوقت آخر الصيف، وأخلقها بتخفيف اللبس. فجلست مستوفزاً، وجلس متحفزاً وأعرض عنى لاهيا، وأعرضت عنه ساهيا. لا يعيرتى طرفه ولا يسألنى عما قصدت له، وقد كدت أتميز غيظا، وأقبلت أؤنب نفسى فى قصده. وأسخف رأبى فى التوجه نحو مثله. وأقبل على تلك الزعنفة التى بين يديه، وكل يومئى إليه ويوحى بطرفه، ويشير إلى مكانى بيده، ويوقظه من سنته وجهله، ويأبى هو إلا ازورارا، وعتوا واستكبارا. ثم رأى أن يثنى رأسه إلى، ويقبل بعض الإقبال على، فوالله ما زادنى على أن قال: أيش خبرك؟ فقلت: أنا بخير لولا ما جنيت على نفسى من قصدك، ووسمت به قدرى من ميسم الذل بزيارتك، وكلفت قدمى بالمصير إلى مثلك، ممن لم تهذبته تجربة، ولا أدبته بصيرة.

ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى القرار، وقلت له: أبن لى عافاك الله، مم تيهك وخيلاؤك وعجبك؟ وما الذى يوجب ما أنت عليه من التجبر والتنمر؟ هل ما هنا نسب انتسبت إلى المجد به؟ أو سلطان تسلطت بعزه؟ أو علم تقع الإشارة إليك به؟ إنى لأسمع جمعجة ولا أرى طحنا، وإنك لو قدرت نفسك بقدرها، أو وزنتها بميزانها، ولم يذهب بك مذهباً، لما عدوت أن تكون شاعرا مكتسبا.

فامتقع لونه، وغص بريقه، وجحظت عيناه، وجعل يلين فى الإعتذار. ويرغب فى الصفح والإعتفار، ويكرر الأيمان أنه لم يعرفنى، ولا اعتمد التقصير بى. فقلت: يا هذا، إن جاءك رجل شريف فى نسبه تجاهلت نسبه، أو عظيم فى أدبه صغرت أدبه، أو متقدم عند سلطان خفضت منزلته، فهل المجد تراث لك دون غيرك؟ كلا والله، لكنك مددت الكبر سترا على نقصك، وحائلا دون مباحثتك. فعاد إلى الإعتذار. وأخذت الجماعة فى تليين جانبى والرغبة إلى فى قبول عذره، وهو يؤكد الأقسام أنه لم يعرفنى، فأقول: ألم يستأذن عليك باسمى ونسبى؟ أما فى هذه الجماعة من يعرفك بى لو كنت جهلتنى؟ وهب ذلك كذلك، ألم ترنى منطيا بغلة رائعة يعلوها مركب ثقيل وبين يدى عدة من الغلمان؟ أما شاهدت لباسى؟ أما شممت عطرى؟ أما راعك شىء من أمرى أتميز به عن غيرى؟ وهو فى أثناء ما أكلمه يقول: خفض عليك، ارفق. استأن.

فلانت عريكتى، واستحييت من تجاوز الغاية، وأقبل على معظما، وتوسع فى تقرىظى مفخما، وأقسم أنه يسعى منذ ورد العراق لملاقاتى، ويعد نفسه بالإجتماع معى. ثم قلت: أشياء تختلج فى صدرى من شعرك أحب أن اراجعك فيها. قال: وما هى؟ قلت: خبرنى عن قولك:

ولا من فى جنازتها تجار يكون وداعها نفض النعال

أهكذا تؤبن أخوات الملوك؟ والله لو كان هذا فى أدنى عبيدها لكان قبيحا. وأخبرنى عن قولك:

وضاقت الأرض حتى ظل هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

أفتعلم مرثيا يتناوله النظر ولا يقع عليه اسم شيء؟ وعن قولك:

وإذا أشار محدثا فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوز تلمم

أما كان لك فى أفانين الهجاء مندوحةٌ عن هذا الكلام الرذل الذى يمجح كل سمع؟ فأقبل على ثم قال: أين أنت من قولى:

لو تعقل الشجر التى قابلتها مدت محيبة إليك الأغصنا

وأين أنت من قولى:

الناس مالم يروك أشباهه والدهر لفظ وأنت معناه

والجود مالم يروك وأنت ناظرها والبأس باعٌ وفيك يمناه

أما يليك إحسانى فى هذه عن إساءتى فى تلك؟ قلت:

ما أعرف لك إحسانا فيما ذكرته، إنما أنت سارقٌ متبع، وآخذٌ مقصر، وفيما تقدم من هذه المعانى التى ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك. فأما قولك: لو تعقل الشجر التى قابلتها، فقد نظرت فيه إلى قول أبى تمام:

لو سعت بقعة لإعظام نعى لسمى نحوها المكان الجديد

فقال: الله المستعان، ومن أبو تمام؟! قلت: الذى سرقت شعره فأنشدته، قال: هذه خلائق السفهاء لا خلائق العلماء، أقسمت غير متحرج فى قسمى أننى لم أقرأ شعرا قط لأبى تمامكم هذا. فقلت: هذه سوءة لو سترتها كان أولى، قال: السوءة قراءة شعر مثله. أليس هو الذى يقول:

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد

والذى يقول:

أقول لقرحانٍ من البين لم يصب رسيس الهوى بين الحشا والترائب

ما قرحان البين أحرص الله لسانه؟! قلت: يا هذا، من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه. فعقل عن الإجابة لسانه، وما زاد على أن قال: لا قدس الله أبا تمام وذويه، ثم قلت له: ما الفرق فى كلام العرب بين التقديس والقداس (بتشديد الدال)

والقداس (بفتح القاف والدال) والقداس؟ فقال: وأى شيء غرضك في هذا؟ قلت: المذاكرة. قال: بل المهاترة. ثم قال: التقديس: التطهير في كلام العرب، ولذلك سمي القدس قدسا لأنه يشتمل على الذي به الطهور، وكل هذه الأحرف تؤول إليه. قلت له: ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب. ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها. وذلك لأن القداس (الأولى) حجر يلقي في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته. والقداس: الجمان، والقداس: السفينة.

قال: يا هذا، مسلمة إليك اللغة، قلت: وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها. وأولى الناس ببالتحقق بها والتوسع في اشتقاقها والكلام على أفانينها. وما أحد أولى بأن يسأل عن اللغة منك. فشرعت الجماعة الحاضرة في إعفائه والتواطؤ له، وكنت قد بلغت شفاء نفسي، وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهيت إليه ضرب من البغى لا أراه في مذهبي. ونهضت، فنهض لي مشيعة إلى الباب حتى ركبت، وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه. وانتهى الخبر إلى الوزير المهلبى، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباركة معز الدولة قائلاً له: أعلمت ما كان من الحاتمي والمتنبي؟ قال: نعم، قد شفا منه صدورنا.

### من كتاب (الرسالة الموضحة) للحاتمي.

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي: قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذر وله وفرة إلى شحمتي أذنيه، فأكرمه وعظمت له رأيته من فصاحته وحسن سمته. فلما تمكن الأنس بيني وبينه، وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته، واقتباساً من أدبه، قلت: والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير.

فقال: ويحك أتدرى ما تقول؟ أنا نبي مرسل<sup>(١)</sup>! فظننت أنه يهزل. ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته، فقلت له: ما تقول؟ فقال: أنا نبي مرسل. فقلت له: مرسل إلى من؟ فقال: إلى هذه الأمة الضالة المضلة. قلت: تفعل ماذا؟ قال: املاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً. قلت: بماذا؟ قال بإدراك الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى. فقلت له: إن هذا أمر عظيم أخاف منه عليك وعدلته على ذلك فقال بديهية:

(١) من المعلوم تاريخياً أنه قد لقب بالمتنبي لادعائه النبوة.

أبا عبد الإله معاذ إنى ذكرت جسيم ما طلبى وأنا أمثلى تأخذُ النكباتُ منه ولو برز الزمانُ إلى شخصاً وما بلغت مَشِيَّتَهَا الليلي إذا امتلأت عيونُ الخيل منى خفيَ عنك فى الهيجا مُقامي نخاطر فيه بالمهج الجسم ويجزع من مُلاقاة الحمام لخصب شعر مفرقة حُسامى ولا سارتُ وفى يدها زمامى فويلُ فى التيقظ والنَّمام

فقلت: ذكرت إنك مرسل إلى هذه الأمة أفيوحى إليك؟ قال: نعم. قلت: فاتل على شيئاً مما أوحى إليك. فأتانى بكلام ما برسمعى أحسن منه، فقلت: وكم أوحى إليك من هذا؟ فقال: مائة عبرة وأربع عشرة عبرة قلت: وكم العبرة؟ فأتى بمقدار أكبر الآى من كتاب الله تعالى. قلت: فى كم مدة أوحى إليك؟ قال: جملة واحدة. قلت أسمع فى هذه العبرات أن لك طاعة فى السماء. فما هى؟ قال: أحبس المدرار لقطع أرزاق العصاة والفجار. قلت: أتحبس فى السماء مطرها؟ قال: إى والذى فطرها! أما هى معجزة؟ قلت: بلى والله! قال فإن حبست المطر عن مكان تنظر إليه ولا تشك فيه. هل تؤمن بى وتصدقنى على ما أوتيت من ربي؟ قلت: إى والله قال سأفعل، ولا تسألنى عن شىء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة. ولا تظهر شيئاً من هذا الأمر حتى يظهر. وانتظر ما وعده من غير أن تسأله. ثم قال لى بعد أيام أتحب أن تنظر المعجزة التى جرى ذكرها قلت: إى والله، فقال لى: إذا أرسلت إليك هذا العبد فاركب معه. ولا تتأخر. ولا تخرج معك أحداً. قلت: نعم. فلما كان بعد أيام تغيبت السماء فى يوم من أيام الشتاء، وإذا عبده قد أقبل. فقال: يقول لك مولاي اركب للموعد. فبادرت إلى الركوب معه. وقلت أين ركب مولاك؟ قال إلى الصحراء، واشتد وقع المطر. فقال: بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي. فإنه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه المطر. قلت وكيف عمل؟ قال أقبل إلى السماء أول ما بدا السحاب الأسود، وهو يتكلم بما لا أفهم ثم أخذ السوط، فأدار به فى موضع ستنظر إليه. وإذا هو على تل بعيد عن البلد نصف فرسخ. فأتيته فإذا هو على التل، ولم يصبه من ذلك المطر شىء، وقد خضت فى الماء إلى ركبة الفرس. والمطر فى أشد ما يكون، ونظرت إلى نحو مائتى ذراع فى مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر. فسلمت عليه. فرد على السلام. فقلت: أبسط يديك أشهد أنك رسول الله . . . فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ثم قال:

أَيُّ مَحَلٍ ارْتَقَى؟      أَيُّ عَظِيمٍ أَتَقَى؟  
 وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللهُ      وَمَا لَمْ يَخْلُقْ  
 مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي      كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرَقِ!

وأخذت بيعته لأهلي، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمت كل مدينة في الشام، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب وهي صدحة المطر يصرفه بها عن أى مكان أحب بعد أن يحوى بعضاً، وينفث في الصدحة التي لهم.

قال أبو عبد الله: وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا، ولا يتعاطمونه، حتى إن أحدهم يصدق عن غنمه وابله. وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر، وهو ضرب من السحر. وسألت المتنبى بعد ذلك هل دخلت السكون؟ قال: نعم أما سمعت قولي من قصيدتي التي أولها:

مُلْتُ القَطْرَ أعْطَشَها رُبُوعاً      وإلَّا فأسْقَها السَّمَّ النَّقِيعَا  
 أمُنْسَى السَّكُونَ وَحَضْرَمُوتَا      ووالدتسى وكندة والسَّبِيعَا

فقلت: من ثم استفاد ما جوزه على طعام أهل الشام.

ومن كلامه الذي كان يزعم أنه قرآن أنزل عليه: (والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي أخطار امض على سننك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين؛ فإن الله قانع بك زيغ من ألد في الدين، وضل عن السبيل).

ومما كان يمزق به على أهل البادية أنه كان مشاء قويا على السير، يسير سيرا لا غاية بعده. وكان عارفاً بالفلوات، ومواقع المياه، ومحال العرب بها. وكان يسير من حلة إلى حلة بالبادية، وبينهما مسيرة أربعة أيام، فيأتي ماء، فيغسل وجهه ويديه ورجليه، ثم يأتي أهل هذه الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم أن الأرض تطوى له.

وسئل في تلك الأيام عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخبر بنبوتى حيث قال: أنا لا نبي بعدى وأنا اسمي في السماء "لا".

وعلى ذكر قرآن المتنبى نذكر ما قيل من أن أبا العلاء المعرى عارض القرآن بكتاب وعنوانه بالفصول والغايات في مجازاة السور والآيات (فقيل له: ما هذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن. فقال: حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة. وعند ذلك انظروا كيف يكون. من كتاب (الصبح المنبى عن حيشية المتنبى) للبديعي.

## من مشاهير أطباء الخلفاء

كان جرجيوس بن جبرائيل له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج، وخدم بصناعة الطب المنصور، وكان حظيا عنده رفيع المنزلة، ونال من جهته أموالا جزيلة، وقد نقل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربي، قال فثيون الترجمان: إن أول من استدعى أبو جعفر المنصور لجورجس، هو أن المنصور في سنة مائة وثمان وأربعين للهجرة مرض وفسدت معدته، وانقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، فتقدم إلى الربيع بأن يجمع الأطباء لمشاورتهم. فجمعهم فقال لهم المنصور من تعرفون من الأطباء في سائر المدن طبيبا ماهرا؟ فقالوا ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رئيس أطباء جندي سابور، فإنه ماهر في الطب، وله مصنفات جلييلة، فأنفذ المنصور في الوقت من يحضره.

ولما وصل جورجس إلى الحضرة أمر المنصور بإيصاله إليه، ولما وصل دعا إليه بالفارسية والعربية، فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه، فأجلسه قدامه وسأله عن أشياء فأجابها عنها بسكون، فقال له: قد ظفرت منك بما كنت أحبه وأشتاقه، وحدثه بعلته وكيف كان ابتداؤها، فقال له جورجس: أنا أدبرك كما تحب، فأمر الخليفة له في الوقت بخلعة جلية.

قال فثيون: ولما كان في سنة مائة واثنين وخمسين، مرض جورجس مرضا صعبا، وكان الخليفة يرسل إليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره، ولما اشتد مرض جورجس، أمر به الخليفة فحمل على سرير إلى دار العامة، وخرج إليه الخليفة ماشيا وراءه وسأله عن خبره، فبكى جورجس بكاء شديدا وقال له: إن رأى أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، إن يأذن لي في المصير إلى بلدي لأنظر إلى أهلي وولدي، وإن مت قبرت مع آبائي، فقال الخليفة: يا جورجس اتق الله وأسلم، وأنا أضمن لك الجنة.

قال جورجس أنا على دين آبائي أموت، وحيث يكون آبائي أحب أن أكون. إما في الجنة أو في جهنم، فضحك الخليفة من قوله وقال له: وجدت راحة عظيمة في جسمي منذ رأيتك وإلى هذه الغاية، وقد تخلصت من الأمراض التي كانت تلحقني، قال له جورجس: إنني أخلف بين يديك عيسى وهو تربيتي، فأمر الخليفة أن يخرج جورجس إلى بلده، وأن يدفع إليه عشرة آلاف دينار، وأنفذ معه خادما وقال إن مات في طريقه فاحمله

إلى منزله ليدفن هناك كما آثر. فوصل إلى بلده حيا. وكان ابنه بختيشوع بن جورجيس، ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام، وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاوته لأعمالها، وخدم هارون الرشيد وتميز في أيامه.

قال فثيون الترجمان: لما مرض موسى الهادي أرسل إلى جندی سابور من يحضر له بختيشوع، فمات قبل قدوم بختيشوع، وكان من خبره أنه جمع الأطباء، وهم أبو قريش عيسى، وعبد الله الطيفوري، وداؤد بن سراييون وقال لهم أنتم تأخذون أموال وجوائزى، وفي وقت الشدة تتقاعدون بى، فقال له أبو قريش: علينا الاجتهاد والله يهب السلامة، فاغتاظ من هذا فقال له الربيع قد وصف لنا أن بنهر صرصر طبيبا ماهرا يقال له عبد يشوع بن نصر، فأمر بإحضاره وبأن تضرب أعناق الأطباء، فلم يفعل الربيع هذا لعلمه باختلال عقله من شدة المرض، ولأنه كان آمنا منه، ووجه إلى صرصر حتى أحضر الرجل. ولما دخل على موسى قال له رأيت القارورة؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، وها أنا أصنع لك دواء تأخذه، وإذا كان على تسع ساعات تبرأ وتتخلص وخرج من عنده، وقال للأطباء، لا تشغلوا قلوبكم فإنكم في هذا اليوم تنصرفون إلى بيوتكم.

وكان الهادي قد أمر بأن يدفع إليه عشرة آلاف درهم ليبتاع له بها الدواء، فأخذها ووجه بها إلى بيته، وأحضر أدوية وجمع الأطباء بالقرب من موضع الخليفة وقال لهم: دقوا حتى يسمع وتسكن نفسه، فإنكم في آخر النهار تتخلصون. وكان كل ساعة يدعو به ويسأله عن الدواء، فيقول له: هو ذا تسمع صوت الدق فيسكت، ولما كان بعد تسع ساعات مات وتخلص الأطباء، وهذا في سنة سبعين ومائة.

قال فثيون: ولما كان في سنة إحدى وسبعين ومائة. مرض هارون الرشيد من صداع لحقه. فقال ليحيى بن خالد هؤلاء الأطباء ليس يحسنون شيئا فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين. أبو قريش طبيب والدك ووالدتك، فقال: ليس هو بصيرا بالطب. إنما كرامتي له لقديم حرمة. فينبغى أن تطلب لى طبيبا ماهرا، فقال له يحيى بن خالد أنه لما مرض أخوك موسى، أرسل والدك إلى جندی سابور حتى حضر رجلا يعرف ببختيشوع، قال له فكيف تركه يمضى؟ فقال: لما رأى عيسى أبا قريش، ووالدتك يحسدانه أذن له في الانصراف إلى بلده، فقال له: أرسل بالبريد حتى يحملوه إن كان حيا.

ولما كان بعد مدة مديدة وافى بختيشوع الكبير بن جورجس، ووصل إلى هارون الرشيد ودعا له بالعربية وبالفارسية، فضحك الخليفة. وقال ليحيى بن خالد أنت منطقي فتكلم

معه حتى أسمع كلامه، فقال له يحيى بل ندعو بالأطباء، فدعى بهم. وهم أبو قريش عيسى، وعبد الله الطيفوري، وداود بن سرابيون، وسرجس. فلما رأوا يختيشوع قال أبو قريش: يا أمير المؤمنين ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا. لأنه كون الكلام هو وأبوه وجنسه فلاسفة، فقال الرشيد: لبعض الخدم أحضره ماء دابة حتى نجربه فمضى الخادم وأحضره قارورة الماء. فلما رآه قال: يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان. قال له أبو قريش: كذبت هذا ماء حظية الخليفة. فقال له بختيشوع: لك أقول أيها الشيخ الكريم لم يببل هذا الإنسان البتة، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة. فقال له الخليفة من أين علمت أنه ليس ببول إنسان؟ قال له بختيشوع لأنه ليس له قوام بول الناس، ولا لونه ولا ريحه. قال له الخليفة بين يدي من قرأت؟ قال له قدام أبي جورجس قرأت، قال له الأطباء أبوه كان اسمه جورجس، ولم يكن مثله في زمانه، وكان يكرمه أبو جعفر المنصور إكراما شديدا.

ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع فقال له: ما ترى أن نطمع صاحب هذا الماء؟ فقال شعيرا جيدا. فضحك الرشيد ضحكا شديدا، وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة، ووهب له مالا وافرا، وقال بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم. وله يسمعون ويطيعون. ولبختيشوع بن جرجس من الكتب كناش مختصر، كتاب التذكرة ألفه لابنه جبرائيل.

مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته، ولما كان في بعض الأيام قال له جعفر: أريد أن تختار لي طبيبا ماهرا أكرمه وأحسن إليه. قال له بختيشوع: ابني جبرائيل أمهر مني، وليس في الأطباء من يشاكلة. فقال له احضرنيه، ولما أحضره عالجه في مدة ثلاث أيام وبرأ، فأحبه جعفر مثل نفسه، وكان لا يصبر عنه ساعة، ومعه يأكل ويشرب.

وفي تلك الأيام تمطت حظية الرشيد ورفعت يدها فيقيت منبسطة لا يمكنها ردها، والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان، ولا ينفع ذلك شيئا، فقال الرشيد لجعفر بن يحيى قد بقيت هذه الصبية بعلتها. قال له جعفر لي طبيب ماهر، وهو ابن بختيشوع، ندعوه ونخاطبه في معنى هذا المرض، فلعل عنده حيلة في علاجه، فأمر بإحضاره. ولما حضر قال له الرشيد: ما اسمك؟ قال: جبرائيل. قال له أي شيء تعرف من الطب؟ فقال أبرد الحار، وأسخن البارد، وأرطب اليابس، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع. فضحك الخليفة وقال: هذا غاية ما يحتاج إليه في صناعة الطب، ثم شرح له حال الصبية، فقال له جبرائيل:

إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة، فقال له: وما هي؟ قال: تخرج الجارية إلى هاهنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريده، وتمهل علي ولا تعجل بالسخط. فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت، وحين رآها جبرائيل عدا إليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها، فأنزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها، وبسطت يديها إلى أسفل، ومسكت ذيلها، فقال جبرائيل: قد برئت يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد: للجارية إبسطي يديك يمناً ويسرة ففعلت ذلك، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه، وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم، وأحبه مثل نفسه، وجعله رئيساً علي جميع الأطباء.

من كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة

□□□

## بلاغة جارية

وصف لعبد الملك بن مروان جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال، فسأومه ابتياعها فامتنع وامتنعت، وقالت: لا أحتاج إلى الخلافة، ولم أرغب في الخليفة والذي أنا في ملكه أحب إلى من الأرض ومن فيها. فبلغ ذلك عبد الملك فأغراه بها، فأضعف الرضا لصاحبها وأخذها قسرا، فما أعجب بشيء إعجابه بها، فلما وصلت إليه وصارت في يديه أمرها بلزوم مجلسه، والقيان على رأسه. فبينما هي عنده ومعه ابناه الوليد وسليمان، فداخلهما للمذاكرة، فأقبل عليهما فقال: أي بيت قالته العرب أمدح؟ فقال الوليد: قول جرير فيك:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح  
وقال سليمان: بل قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا  
فقالته الجارية: بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت<sup>(١)</sup>:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل  
فأطرق ثم قال: أي بيت قالته العرب أرق؟ فقال الوليد: قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلانا  
فقال سليمان: بل قول عمر بن أبي ربيعة:

حبذا رجعها يديها إليها من يدي درعها تحل الإزارا  
فقالته الجارية: بل بيت يقوله حسان:

لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم  
فأطرق ثم قال: أي بيت قالته العرب أشجع؟ فقال الوليد: قول عنترة<sup>(٢)</sup>:

إذ يتقون بى الأسنة لم أحم عنها ولكنى تضايق مقدمى

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري، من الشعراء الخضمين، فكان شاعرا معتبرا عند ملوك الفساسة في الشام قبل الإسلام، ثم أسلم وصار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب ما بين عامي (٤٠ - ٣٥هـ).

(٢) هو عنترة بن شداد العبسي (٥٢٥ - ٦٠١م). من أعظم شعراء العرب في الجاهلية (ما قبل الإسلام). وأحد شعراء المعلقة السبع، اشتهر بحبه لعبلة ابنة عمه وبشعره فيها، فضلا عن شعره في الفخر والحماسة.

فقال سليمان: بل قوله:

وإذا المنيّة فأى المواطن كلها فالموت منى سائق الآجالِ

فقال الجارية: بل بيت يقوله كعب بن مالك<sup>(١)</sup>:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدما ونلحقها إذا لم تلحق

فقال عبيد الملك: أحسنت، وما نرى شيئا في الإحسان إليك أبلغ من ردك إلى أهلك.

فأجمل كسوتها، وأحسن حلتها. وردّها إلى أهلها.

من كتاب (زهرة الآداب وثمر الألباب) للحصري.



---

(١) هو كعب بن مالك الأنصاري. صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وشاعر الإسلام، شهد بيعة العقبة. كان أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك دون عذر فأنزل الله فيهم قرآن في سورة التوبة ليتوب عليهم، توفي عام ٥٠هـ.

## المصادر

- الحصرى، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ / ١٠٣١م)، جمع الجواهر فى الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البحرأوى، دار الفكر العربى ١٩٥٤.
- الحصرى، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣هـ / ١٠٣١م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البحرأوى، دار الفكر العربى ١٩٥٤.
- التنوخى، أبو علي بن المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)، المستجد من فعل الأجواد، تحقيق: أحمد فريد المزيرى، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م.
- التنوخى، أبو علي بن المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر- بيروت، الطبعة الثانية.
- ابن عبد ربه الأندلسى، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٨٢هـ / ٩٩٢م)، العقد الفريد، تحقيق: خليل شرف الدين، دار الهلال ٢٠٠١م.
- ابن طيفور، أبو الفضل بن أبى طاهر (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، بلاغات النساء، دار الحدائثة - بيروت.
- الكتبى، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.
- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، الأذكياء، تحقيق: محمد محفوظ، دار ابن حزم - بيروت.
- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، صفة الصفة، تحقيق: محمود فاحورى ومحمد رواس، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق: عرفان محمد محمود، دار الكتب العلمية ٢٠٠٦م.
- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، أخبار النساء، تحقيق: عبد المجيد طعمه الحلبي، دار المعرفة للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
- ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: أحمد ايبش، الأوائل للنشر والتوزيع.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية ١٣٢٢هـ.
- الطبري، أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م)، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ١٩٦٠م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين (ت ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، طبعة بولاق ١٢٩٧هـ.
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
- الطوسي، أبو علي الحسن نظام الملك (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)، سياستنامه، ترجمة وتحقيق: محمد العزاوي، دار الرائد العربي ١٩٩٠م.
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي (ت ٧٩٢هـ / ١٣١٣م)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة.
- ابن عربشاه، أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم (ت ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ترجمة وتحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة رسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦م.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة - القاهرة ٢٠٠٠م.
- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)، فتوح مصر

- والغرب، تحقيق: على عمر، دار الفكر العربي ٢٠٠٠م.
- ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد إبراهيم الكنانى و محمد بن تاويت و محمد زنيير و عبد القادر زمامة، دار الثقافة ١٩٨٥م.
- السيوطى، عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ / ١٣٤٠م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، تحقيق: أحمد على شوابكة، مؤسسة الرسالة ودار عمار - بيروت ١٩٨٣م.
- الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى - بيروت ١٩٩٣م.
- المعافى بن زكريا، أبو الفرج بن طرار النهروانى (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)، المجلس الصالح والأنيس الناصح، تحقيق: محمد مرسى الخولى، دار عالم الكتب - بيروت.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن عتاهيه (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)، الفوائد والأخبار، تحقيق: إبراهيم صالح، مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م.
- النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م.
- ابن سعيد، على بن موسى بن محمد المغربى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق: شوقى ضيف، دار المعارف ١٩٦٩م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ / ٨٢٥م)، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.
- ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، الحلة السراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦٣م.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد عبد الحميد، مؤسسة الريان للطباعة والنشر ١٩٩٨م.
- الحميرى، محمد بن عبد المنعم الصنهاجى (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)، الروض المعطار فى

- خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس. مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت ١٩٨٠م.
- وكيع، أبو بكر محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م)، أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٥٠م.
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.
- ابن عبد البر، أبو عمر جمال الدين يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، بهجة المجالس وأنس المجالس وسحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولى، دار الكتب العلمية ١٩٨١م.
- القلقشندى، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٠هـ / ١٤١٧م)، مآثر الأناقة فى معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب - بيروت ٢٠٠٦م.
- الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)، الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات المتنبى وساقط شعره، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت ١٩٦٥م.
- ابن أبى أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن سعيد الدين (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ١٩٩٨م.
- البديعى، يوسف الدمشقى (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦٢م)، الصبح المنبى عن حيثية المتنبى، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا، دار المعارف ١٩٩٨م.

## المحقق فى سطور

- أحمد سالم سالم على.
- ولد بالإسكندرية عام ١٩٨٠م.
- يعمل مفتشا للآثار الإسلامية بالمجلس الأعلى للآثار منذ عام ٢٠٠٣م.
- حصل على ماجستير الآداب من جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٩م.
- حاصل على ليسانس الآداب، قسم التاريخ، شعبة الآثار الإسلامية من كلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٢م.
- عضو العديد من الجمعيات المتخصصة، مثل الجمعية الجغرافية والجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
- له العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة فى دوريات متخصصة وغير متخصصة، فضلا عن الكتب المنشورة فى مجال التاريخ والحضارة.

□□□